الذبيح: من هو؟

د. صديق عبد العظيم أبو الحسن

تمهيد: الذبيح عليه السلام. من هو؟

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله والتابعين لهم بإحسان.

وبعد، فها السؤال لا يزال يتردد منذ قرابة خمسة عشر قرنا من الزمان، وأرجح أنه بدأ يتردد منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعلى الرغم من كثرة من روى عنهم اتجاه في تعيين شخصه، فإن أياً من الأقوال لم يؤيد بالشواهد القاطعة، والأدلة والحجج الكافية المقنعة، ولا يزال التساؤل قائما، من الذي نستطيع أن نعين اسمه ونلقبه دون ريب بالذبيح؟

الذبيح بالقطع، مما وردت به نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وأسفار اليهود والنصارى. هو أحد ابني إبراهيم، أحد الابنين الأولين الذين رزق بهما إبراهيم عليه السلام، من هاجر المصرية القبطية، وسارة الآرامية البابلية، أو الحرانية.

وجمهور أهل الكتاب من بني إسرائيل [1] وغيرهم من اليهود والنصارى منهم، وجمهور المسلمين. جميع هؤلاء وأولئك مؤمنون بذلك، يستوي في هذا العلماء فمنهم والعامة. وأما أبناء إبراهيم عليه السلام من قاطوراء التي تزوجها بعد وفاة زوجتيه هاجر وسارة، فلم يرد لهما ذكر في هذه القضية.

(١) إسرائيل هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام - يراجع في سبب تسميته إسرائيل (تكوين ٣٢/٢٤-٢٩).

وإذا كان الاتفاق على أن الذبيح أحد النبيين الكريمين الشهيرين الأولين من أولاد إبراهيم عليهم جميعا السلام.

فإن الاختلاف وقع في تعيين شخص الذبيح. هل هو: إسماعيل؟ أو هو: إسحاق؟

بكل واحد منهما قال فريق من الناس، وكل فريق استدل بنصوص وبراهين وقرائن، ففريق قال: بأن الذبيح إسحق، وفريق قال: إنه إسماعيل، وفريق ثالث قال: هو إسحق، ثم عدل عن قوله الأول، وأكد أنه اسماعيل. ورابع توقف واكتفى بعرض أسماء وأقوال الفريقين أو أشار إليهما.

(أ) ـ فاليهود يدعون أن الذبيح إسحق، إلا قلة ممن أسلموا واشتهر عنهم حسن إسلامهم، وقلة ممن أسلموا واشتهروا برواية الأخبار والقصص. قالوا: بأنه إسحاق.

(ب) ـ ويندر أن نسمع عن أحد من النصارى الخوض في هذه المسألة.

(جـ) ـ وأما المسلمون، فقد ذكرت أسماء سبعة من الصحابة قالوا: إنه إسحاق أثر عن أربعة منهم فقط أقوال بذلك، وأثر عن ثلاثة من الأربعة القول مرة بإسحق، ومرة إسماعيل، كما ذكرت أسماء خمسة قالوا: إنه إسماعيل، وبعضهم له حجج.

وأما التابعون فبعض المصادر ذكرت أسماء عدد يتراوح بين الاثني عشر والسبعة عشر ممن يقولون بإسحق، ومنهم عدد حول النصف يقولون به مرة وبإسماعيل أخرى، وطائفة أخرى تقول: إنه إسماعيل فقط.

* ومن هؤلاء من رويت لهم أقوال وحجج وبراهين، ولكن غالبيتهم ممن عدوا فقط ممن قالوا: إنه إسماعيل، أو قالوا: إنه إسحق فقط، ولكن لم يؤثر عنهم قول معين.

---

(١) المقصود قضية النزاع حول اسم الذبيح.

* وقد لاحظت أن القضية لم يرد لها ذكر فيما أثر عن أهل الكتاب، ولا فيما أثر عن المسلمين، في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا في عهد أبي بكر، وصدر عهد عمر، ولذا فإن ما أرجحه أنها لم يبدأ الحديث فيها إلا بعد إسلام كعب الأحبار وهجرته إلى المدينة، في منتصف عهد عمر رضي الله عنه، وقد كان كعب خبيرا بكتب اليهود حريصا على التحديث منها بأخبار بني إسرائيل.

* ولعل مما أتاح الفرصة للنزاع حول تحديد شخص الذبيح أن القرآن الكريم لحكمة يعلمها الله تعالى حين سرد طرفا من القصة في سورة الصافات لم ينص على اسم الذبيح، وإنما وردت في عدة سور صفات كل من إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، كما وردت في القرآن والحديث النبوي وآثار عن الصحابة قرائن وإيماءات تتفق مع أحداث القصة وصفات من وقعت لهم.

وورد نص وحيد عند اليهود يلحق اسم إسحق بأمر الله لإبراهيم بذبح ابنه، ونص آخر عند النصارى يصرح بأن الذبيح إسماعيل.

مصادر قصة الذبيح:

وعلى العموم فمصادر قصة الذبيح إجمالا ما يأتي:

أ ـ سفر التكوين: وهو السفر الأول من الأسفار الخمسة التي يطلقون عليها «أسفار موسى، أو أسفار التوراة».

ب ـ إنجيل برنابا: وهو إنجيل يُنْسَبُ إلى أحد تلاميذ المسيح، ولكنه ليس ضمن أناجيل العهد الجديد، والنصارى ينكرون نسبته لبرنابا، ولكن تحققت صحة نسبته إليه.

جـ ـ سورة الصافات: وهي سورة مكية ترتيبها في المصحف (٢٧) وفي النزول (٦٥).

د ـ عدد من الآيات القرآنية تضمنت قرائن وصفات وأحوال من وقعت له

أحداث القصة.

هـ ـ عدد من الأحاديث النبوية بعضها صحيح، وبعضها في سنده مقال.

وبعد فلعل هذا لبحث يستطيع أن يدلي بالدلاء، فيستعرض نصوص الأصول الدينية، وأقوال الصحابة والعلماء، ويعايشها ويستقرئها، ويقارن الأحداث والآثار والأماكن وصفات وخصائص من جرت على أيديهم، ثم يستخلص النتائج ويقدم البراهين على الحقيقة التي يسلمها العقل، وترتاح إليها القلب، هذا هو المأمول.

ومبني هذا البحث على تمهيد وفصلين:

الفصل الأول: عرض النصوص: أولا: نصوص الكتب الدينية.

ثانيا: نصوص وأقوال وحجج الفريقين.

الفصل الثاني: النتيجة والبراهين المؤيدة لها من خلال النصوص السابقة ومناقشتها.

وإذا كان موضوع هذا البحث ليس أصلا من أصول العقيدة، ولا يترتب على نتائجه واجب من الواجبات الدينية، ولا فريضة من الفرائض التي تعبدنا الشارع بها، وبالتالي فتعلمه ليس فرض عين، لا على عامة المسلمين، ولا على خاصتهم، إلا أن حسم هذا الموضوع يعتبر حسما لقضية هامة بين بني إسرائيل وبين العرب والمسلمين خاصة. وبينهم وبين البشر «بني آدم، بني الإنسان» عامة. فالقول الفصل فيها، يؤيد أو يهدم دعوى من دعاواهم الباطلة، فإذا كان من دعاواهم الباطلة. وعد الله لهم بالأرض المقدسة (أرض فلسطين ـ بل الأرض من النيل إلى الفرات)، وأنهم شعب الله المختار «أبناء الله وأحباءه» فإن من دعواهم أيضا: أنهم أبناء السيدة، والعرب أولاد الأمة، ومن دعواهم أنهم أبناء الذبيح لا العرب، فإسحاق جدهم هو الذبيح، وليس إسماعيل جد العرب، فشرف الانتماء للذبيح لهم وليس للعرب.

فهذه الدعاوى التي افتراها لهم عزرا وغيره من أحبارهم في الأسر البابلي وبعده، هي التي غرست فيهم روح التعالي على البشرية، وزينت لهم العنصرية المتمثلة في أن لهم الحق الإلهي في استباحة حقوق وحرمات الأغيار ـ على تصور أن الله خلقهم متميزين على باقي البشر ـ وخلق باقي البشر ليكونوا في خدمتهم، مسخرين لهم، كما سخر لهم البهائم سواء بسواء، فلا جرم عليهم إن هم استباحوا دماء وأموال وحرمات أي من بني آدم سوى بني إسرائيل ـ تلك الدعوى التي كشفها القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَادُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

فالقول الحق المؤيد بالأدلة والبراهين من كتبهم وغير كتبهم يكشف كذبهم وتضليلهم، ويهدم أساسا من أسس غطرستهم وعنصريتهم..

والله ولي التوفيق،،،

---

(١) آل عمران: ٧٠ .

الفصل الأول: عرض النصوص

أولا: نصوص: أمر الله لإبراهيم بذبح وحيده، بكره:

ورد أمر الله تعالى لإبراهيم عليه السلام بذبح ابنه بصيغ ثلاث مختلفة:

(١) **صيغة وردت في القرآن الكريم:** ليس فيها تحديد اسم الذبيح، وإن كانت آيات أخرى في عدة سور من القرآن تضمنت صفات الذبيح، وصفات كل من إبراهيم وإسماعيل وإسحق، بما يحدد شخص الذبيح. فمن قصة إبراهيم في سورة الصافات يخبرنا الله بما كان من أمر إبراهيم لابنه الذبيح عليهما السلام. ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ .. ﴾[1].

فلم يعين اسم الذبيح، علما بأن هذه الآيات هي الوحيدة في القرآن الكريم التي تضمنت أحداث قصة الذبيح.

(٢) **صيغة وردت في سفر التكوين من التوراة التي بين أيدينا الآن،** وفيها تحديد اسم الذبيح وأنه إسحق، ولكن سابقاتها ولاحقاتها تتضمن ما يلقي الضوء على الحقيقة، فبعد أحداث هامة في محيط إ براهيم عليه السلام، ورد ذكر الأمر على هذا النحو:

«...وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال له: يا إبراهيم، فقال: ها أنذا.

فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك»[2].

ويروي المفسرون والمؤرخون المسلمون هذا النص بصيغة أخرى يبدو أنها كانت في الترجمات المعاصرة لهم، ونقرأها عند الطبري وابن كثير والشوكاني

(١) الآيات: ١٠٠ - ١٠٢.. الصافات.

(٢) تكوين: ٢٢:١، ٢.

وابن الأثير وابن الجوزي، والفخر الرازي والألوسي وغيرهم. في تفسير سورة الصافات وفي قصة إبراهيم وإسماعيل، وننقل هنا عبارة ابن كثير وهي تكاد تكون بالنص عند سائر المفسرين والمؤرخين يقول: «...وعندهم ـ أي أهل الكتاب ـ أن الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يذبح وحيده. وفي نسخة أخرى بكره»[1].

(٣) صيغة وردت في إنجيل برنابا. في الإصحاح الرابع والأربعين حكاية عن المسيح عليه السلام إجابة على أحد الأسئلة من تلاميذه.

١ـ «قال التلاميذ: يا معلم، هكذا كتب في كتاب موسى أن العهد صنع بإسحق.

٢ـ أجاب يسوع متأوها: هذا هو المكتوب. ٣ـ لكن موسى لم يكتبه ولا يشوع،... ٦ـ لأن الملاك قال: يا إبراهيم، سيعلم العالم كله كيف يحبك الله. ٧ـ ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله. ٨ـ حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله....، ٩ـ.....، ١٠ـ فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلا: «خذ ابنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة، ١١ ـ.... الخ»[2].

روايات المفسرين والمؤرخين عن السلف من المسلمين:

روى المفسرون في تفسير سورة الصافات، والمؤرخون في سيرة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام؛ أسماء من قالوا إن الذبيح إسماعيل، وآثارًا من أقوالهم. ومن قالوا: إنه إسحق كذلك.

وممن روى ذلك: الطبري في التفسير والتاريخ، وابن كثير في التفسير والبداية والنهاية، وقصص الأنبياء، وابن الأثير في تاريخه «الكامل» وابن حيان والألوسي والفخر الرازي والقرطبي والشوكاني، والماوردي في التفسير، وابن قيم

(١) يراجع ابن كثير في تفسير آيات سورة الصافات (١٤/٤) وقصص الأنبياء، والبداية والنهاية له، والتفاسير التي أشرنا لها، والتواريخ من أمثال: الأمم والملوك للطبري، والكامل لابن الأثير، وزاد المعاد لابن قيم الجوزية، والطبقات الكبرى لابن سعد، وغيرها.

(٢) برنابا ١٠:٤٤ تحقيق سيف الله أحمد فاضل ـ نشر دار القلم ـ الكويت ١٩٧٣م.

الجوزية في زاد المعاد، وابن سعد في الطبقات، والثعلبي في قصص الأنبياء، والمقريزي في الخطط، وابن إسحق في السير، وغيرهم كثيرون.

ولعل من أبرز من تداول كتبهم على مستوى العامة والخاصة ـ الطبري وابن كثير وابن قيم الجوزية والقرطبي.

ولعلنا أيضا نجد أسماء من قالوا: إن الذبيح إسماعيل، ومن قالوا: إنه إسحق، أو روي عنهم القول بهذا مرة، وبالتالي مرة أخرى، عند الطبري هي نفسها عند ابن كثير، وعند من رووا عنهم. فإذا نقلنا عن الطبري وابن كثير أسماء الصحابة والتابعين والعلماء الذين قالوا إسماعيل أو إسحق، فذلك يعني أن نفس هذه الأسماء وما أثر عنها من اتجاه وأقوال هي نفسها عند باقي المفسرين والمؤرخين من السلف ومن الخلف. مع تفاوت يسير في ذكر قول أو اسم عند أحدهم دون وروده عند آخر.

وفيما يلي ذكر أسماء من قالوا: إن الذبيح إسماعيل من الصحابة أولا، ثم من التابعين، ثم طرفا من أقوالهم وحججهم، وحجج وبراهين من غَلَّبُوا اتجاههم وقالوا به ممن بعدهم من العلماء. ثم نعقبه بذكر من قالوا بإسحق كذلك.

ثم نتبع ذلك بذكر من قالوا بإسحق. وبعض ما أثر من أقوالهم وحججهم، ثم نذكر قصة الذبيح المروية عنهم.

القائلون الذبيح إسماعيل:

*** من الصحابة:**

أولاً: ورد القول عن عدد من الصحابة بأن الذبيح إسماعيل بعد أن قالوا إنه إسحاق، ومن هؤلاء: ١ـ علي كرم الله وجهه. ٢ـ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ـ في القول الذي يؤكده. ٣ـ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. ٤ـ وعبد الله بن مسعود.

ثانياً: ومنهم من قرر أنَّ الذبيح إسماعيل، ولم يرد عنه غير ذلك: أبو عامر

بن واثلة.

* **ومن التابعين:**

١- سعيد بن جبير. ٢- يوسف بن مهران. ٣- عامر الشعبي. ٤- مجاهد. ٥- عطاء بن أبي رباح. ٦- محمد بن كعب القرظي. ٧- الحسن البصري. ٨- السعدي. ٩-وأبي جعفر محمد بن علي. ١٠- سعيد بن المسيب. ١١- أبي صالح. ١٢- والربيع بن أنس، ١٣- والكلبي، وغيرهم.

* **بعض ما أثر من أقوالهم:**

قال ابن كثير: «قد تقدمت الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق عليه الصلاة والسلام». والله تعالى أعلم.

وقال سعيد بن جبير، وعامر الشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما: هو ءسماعيل عليه الصلاة والسلام.

وعن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال: «المفدى إسماعيل عليه السلام وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود».

وروى إسماعيل عن ثور عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال الذبيح إسماعيل.

وأخرج الطبري عن عامر، قال: الذي أراد إبراهيم ذبحه إسماعيل، وقال: ﴿**وفديناه بذبح عظيم**﴾: هو إسماعيل، قال: وكان قرنا الكبش منوطين بالكعبة.

وعن الشعبي، قال: رأيت قرني الكبش في الكعبة.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: سألت أبي عن الذبيح. هل هو إسماعيل أو إسحاق. فقال إسماعيل ذكره في كتاب الزهد.

وقال ابن أبي حاتم: وسمعت أبي يقول الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاة والسلام. قال: وروى عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد

(١) راجع: تفسير ابن كثير: (١٧/٤)، وفتح القدير: (٤٠٣/٤) وغيرهما.

بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح رضي الله عنهم أنهم قالوا الذبيح إسماعيل.

وقال البغوي في تفسيره وإليه ذهب عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب والسدي والحسن البصري ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي وهو رواية عن ابن عباس وحكاه أيضا عن أبي عمرو بن العلاء.

وقد روى ابن العلاء[1] عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: الذبيح إسماعيل.

وعن الشعبي: عن ابن عباس: ﴿**وفديناه بذبح عظيم**﴾. قال: إسماعيل.

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إن الذي أمر بذبحه إبراهيم إسماعيل.

وعن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: هو إسماعيل، يعني: ﴿**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾.

وعن الشعبي: عن ابن عباس أنه قال في الذي فداه الله ﴿**بذبح عظيم**﴾؛ قال: هو اسماعيل.

وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب، عن مجاهد في قوله: ﴿**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾ قال: هو اسماعيل.

وعن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عباس، أنه قال: المفدى إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق، وكذبت اليهود.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن سنان، عن أبي الطفيل، عن ابن عباس مثله[2].

---

(١) تفسير ابن كثير ١٨/٤.

(١) المصدر السابق، وتفسير الطبري ٥١/٢٣، وتاريخ الطبري ٢٧٦/١.

وحدثني محمد بن سنان القزاز، قال: حدثني حجاج، عن حماد، عن أبي عاصم الغنوي، عن أبي الطفيل، قال: قال ابن عباس: إن إبراهيم لما أمر بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه، فسبقه إبراهيم، ثم ذهب به جبريل عليه السلام إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم «تله للجبين»[1] وعلى إسماعيل قميص أبيض، فقال لأبيه: يا أبت إني ليس لي ثوب تكفنني فيه غير هذا، فاخلعه عني، فأكفني فيه، فالتفت[2] إبراهيم عليه السلام فإذا هو بكبش أعين أبيض أقرن فذبحه، فقال ابن عباس: لقد رأيتنا نتبع هذا الضرب من الكباش.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن سفيان، عن جابر، عن أبي الطفيل، عن علي عليه السلام: ﴿**وفديناه بذبح عظيم**﴾. قال: كبش أبيض أقرن أعين مربوط بسعر[3] في ثبير.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن جريح، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس: ﴿**وفديناه بذبح عظيم**﴾، قال: كبش. قال عبيد بن عمير: ذبح بالمقام[4]، وقال مجاهد: ذبح بمنى في المنحر.

حجج القائلين بأن الذبيح إسماعيل:

روى المفسرون بالأثر والمؤرخون حججا للقائلين إن الذبيح إسماعيل من أقوال الصحابة والتابعين والعلماء يدللون بها على صحة ما ذهبوا إليه.

فمما أثر عن الصحابة:

أخرج الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لما أمر

---

(١) يعني: فلما ذهب الشيطان. تل إبراهيم ابنه إسماعيل.

(٢) وفي رواية: فسمع إبراهيم صوتا يناديه فالتفت فإذا هو بكبش...الخ.

(٣) تفسير الطبري: ٣٣:٥١. وتاريخ الطبري: ١:٢٧٦.

(٤) يعني: مقام إبراهيم بجوار الكعبة.

الله إبراهيم عليه السلام بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه فسبقه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ثم ذهب به ـ إبراهيم ـ جبريل عليه الصلاة والسلام إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات ـ وتم ـ تَلَّهُ للجَبِين» وعلى إسماعيل عليه الصلاة والسلام قميص أبيض فقال[1] له: يا أبت ليخلعه، فنودي من خلفه «يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا...»[2].

وعن ابن إسحق بسنده عن ابن عباس: قال: وخرج[3] عليه كبش من الجنة قد رعى قبل ذلك أربعين خريفا، فأرسل إبراهيم عليه السلام ابنه فاتبع الكبش فأخرجه إلى الجمرة الأولى فرماه بسبع حصيات ثم أفلته عندها، فجاء إلى الجمرة الوسطى فأخرجه عندها فرماه بسبع حصيات ثم أفلته. فأدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات فأخرجه عنها ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه[4].

الأخبار بأن قرني الكبش في الكعبة:

قال ابن عباس: فوالذي نفسي ابن عباس بيده ـ لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة حتى وحش ـ يعني يبس.[5]

قال أبو الطفيل والشعبي: «رأيت قرني الكبش في الكعبة»[6].

---

(١) قال إسماعيل لأبيه إبراهيم عليهما السلام.

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ لابن كثير ٤/١٥، هذا الخبر بالنص مع زيادة عن مجاهد في تفسير «وأرنا مناسكنا» (١٢٧ البقرة). وهو ممن رووا عن ابن عباس ولنا تعليق على الصلة بين الخبرين فيما يأتي.

(٣) أي خرج على إبراهيم عليه السلام.

(٤) تفسير ابن كثير ٤:١٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم ـ لابن كثير ٤/١٥، وهذا القول لا يتضمن الدلالة على إسماعيل بالنص وإنما بالقرينة حيث دل على أن الذبيح كان بمنى من حرم مكة مسكن إسماعيل ولم يؤثر أن إسحاق أتى إلى مكة.

(٦) الكامل في التاريخ ـ لابن الأثير ١/١١٠.

وقد أخرج الإمام أحمد بسنده عن صفية بنت شيبة قالت: أخبرتني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن طلحة رضي الله عنه، وقالت مرة أنها سألت عثمان لم دعاك النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت فنسيت أن آمرك أن تخمرهما[1] فخمرهما فإنه لا ينبغي أن يكون بالبيت شيء يشغل المصلى.

قال سفيان: لم يزل قرنا الكبش معلقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا ـ قال ابن كثير: وهذا دليل مستقل على أنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام فإن قريشا توارثوا قرني الكبش الذي فَدَى به إبراهيم خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم[2].

وقال الشعبي: هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام، وقد رأيت قرني الكبش في الكعبة.[3].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «الصخرة التي بمنى، بأصل ثبير. هي الصخرة التي ذَبَحَ عليها إبراهيم فِدَاء ابنه. هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء فذبحه، وهو الكبش الذي قربه ابن آدم، فتقبل منه فكان مخزوناً حتى فدى به إسحاق[4].

* **ومن آثار العلماء في القول أنه إسماعيل:**

عن الأصمعي قال: سألت أبا عمر بن العلاء عن الذبيح فقال: يا أصمعي

(١) خمرهما: أي وضع عليهما خمارا، أي ما يسترهما فلا ينشغل بهما المصلي.

(٢) يراجع: تفسير ابن كثير: ١٧/٤.

(٣) يراجع: تفسير ابن كثير: ١٨/٤.

(٤) تفسير ابن كثير ١٦/٤، وقوله «حتى فدى إسحق» واضح فيه تأثر ابن عباس بأقوال كعب الأحبار، فالواقع ينقض ذلك، فإسحق كان بالشام ولم يعرف أبدا أنه قدم مكة، والصخرة التي ذبح عليها الكبش بأصل جبل ثبير بمنى من حرم مكة، وهذا واضح لا يحتاج إلى بيان ولا يحتاج إلى براهين.

أين غرب عنك عقلك؟ ومتى كان إسحق بمكة؟ وإنما كان إسماعيل بمكة[1].

وقال ابن كثير: وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحق، وحكى ذلك عن طائفة من السلف حتى يقال عن بعض الصحابة، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تلقى إلا عن أخبار أهل الكتاب، وأُخِذَ مُسَلَّمًا من غير حجة، وكتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، وقال بعد ذلك: ﴿**وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[2].

وفي زاد المعاد: قال ابن قيم الجوزية: وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجها، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب، مع أنه باطل. بنص كتابهم.

١ـ فإنه فيه: أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره، وفي لفظ: وحيده، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده، والذي غر أصحاب هذا القول أن في التوراة التي بأيديهم: «اذبح ابنك إسحاق»، قال: وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم، لأنها تناقض قوله: اذبح بكرك ووحيدك، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف وأحبوا أن يكون لهم، وأن يسوقوه إليهم، ويختاروه لأنفسهم دون العرب، ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله.

٢ـ وكيف يسوغ أن يقال: إن الذبيح إسحاق والله تعالى قد بَشَّرَ أُمَّ إسحاق به وبابنه يعقوب، فقال تعالى عن الملائكة أنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشري: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن

(٢) فتح القدير ـ في التفسير ـ للشوكاني ٤/٤٠٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم ـ لابن كثير ـ في تفسير «فبشرناه بغلام حليم» (٩٩ الصافات يراجع ٤/ ١٤).

وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾[1] فمحال أن يبشرها بأنه يكون لها ولد، ثم يأمر بذبحه، ولا ريب أن يعقوب عليه السلام داخل في البشارة، فتناول البشارة لإسحاق ويعقوب في اللفظ واحد، وهذا ظاهر الكلام وسياقه.

فإن قيل: لو كان الأمر كما ذكرتموه لكان «يعقوب» مجرورا عطفا على إسحاق، فكانت القراءة ﴿**ومن وراء إسحاق يعقوب**﴾[2] أي: ويعقوب من وراء إسحاق. قيل: لا يمنع الرفع أن يكون يعقوب مبشرا به، لأن البشارة قول مخصوص، وهي أول خَبَرٍ سارٍ صَادِقٍ. وقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يعقوب**﴾ جملة متضمنة لهذه القيود، فتكون بشارة، بل حقيقة البشارة هي الجملة الخبرية. ولما كانت البشارة قولا، كان موضع هذه الجملة نصبا على الحكاية بالقول، كأن المعنى: وقلنا لها: من وراء إسحاق يعقوب، والقائل إذا قال: بشرت فلانا بقدوم أخيه وثقله في أثره، لم يعقل منه إلا بشارته بالأمرين جميعا. هذا مما لا يستريب ذو فهم فيه البتة، ثم يضعف الجر أمر آخر وهو ضعف قولك: مررت يزيد ومن بعده عمرو، ولأن العاطف يقوم مقام حرف الجر فلا يفصل بينه وبين المجرور، كما لا يفصل بين حرف الجار والمجرور.

٣ ـ ويدل عليه أيضا أن الله سبحانه لما ذكر قصة إبراهيم وابنه الذبيح في سورة (الصافات) قال: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ

(١) هود: ٧٠، ٧١. اختلف القراء في «يعقوب» فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بشر عن عاصم «يعقوب» بالرفع، وقرأ ابن عامر وحمزة، وحفص عن عاصم «يعقوب» بالنصب، قال الزجاج: وفي رفع يقعوب وجهان، أحدهما: على الابتداء المؤخر، معناه التقديم، والمعنى: ويعقوب يحدث لها من وراء إسحاق، والثاني: وثبت لها من وراء إسحاق يعقوب، ومن نصبه، حمله على المعنى، والمعنى: وهبنا لها إسحاق، ووهبنا لها يعقوب». زاد المسير: ١٣٢/٤.

(٢) لفظ «اسحق» علامة جره ونصبه الفتحة لأنه علم أعجمي، وكذلك «يعقوب».

نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾[1].

ثم قال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾[2]. فهذه بشارة من الله تعالى مجازاة له لصبره على ما أُمِرَ به، وهذا ظاهر جدا في أن المُبَشَّرَ به غير الأول، بل هو كالنص فيه.

فإن قيل: فالبشارة الثانية وقعت على نبوته، أي: لما صبر الأب على ما أمر به، وأسلم ولده لأمر الله، جازاه الله على ذلك بأن أعطاه النبوة.

قيل: البشارة وقعت على المجموع: على ذاته ووجوده، وأن يكون نبيا ولهذا نصب «نبيا» على الحال المقدر، أي: مقدرا نبوته، فلا يمكن إخراج البشارة أن تقع على الأصل، ثم تخص بالحال التابعة الجارية مجرى الفضلة، هذا محال من الكلام، بل إذا وقعت البشارة على نبوته، فوقوعها على وجوده أولى وأحرى.

وأيضا فلا ريب أن الذبيح كان بمكة، ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها[3]، كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيرا لشأن إسماعيل وأمه، وإقامة لذكر الله، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه، ولهذا اتصل مكان الذبح وزمانه بالبيت الحرام الذي اشترك في بنائه إبراهيم وإسماعيل، وكان النحر بمكة من تمام حج البيت الذي كان على يد إبراهيم وابنه إسماعيل زمانا ومكانا، ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم، لكانت القرابين والنحر بالشام، لا بمكة.

وأيضا فإن الله سبحانه سمى الذبيح حليما. لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه. ولما ذكر إسحاق سماه عليما، فقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ

(١) الصافات: ١٠٣ - ١١١.

(٢) الصافات: ١١٢.

(٣) تذكيرا بذبح إسماعيل لأن ذبحه كان بها، وكان فداؤه بكبش ذبح وقدم قربانا بها أيضا.

مُّنكَرُونَ﴾[1]. إلى أن قال: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾[2].وهذا إسحاق بلا ريب، لأنه من امرأته. وهي المبشرة به، وأما إسماعيل، فمن السرية.

وأيضا فإن الله سبحانه أجرى العادة البشرية أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده، وإبراهيم عليه السلام لما سأل ربه الولد، ووهبه له، تعلقت شعبة من قلبه بمحبته، والله تعالى قد اتخذه خليلا، والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة، وأن لا يشارك بينه وبين غيره فيها، فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد، جاءت غيرة الخُلَّةِ تنتزعها من قلب الخليل، فأمره بذبح المحبوب، فلما أقدم على ذبحه، وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد، خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة، فلم يبق في الذبح مصلحة، إذ كانت المصلحة إنما هي في العزم وتوطين النفس عليه، فقد حصل المقصود فنسخ الأمر، وفدى الذبيح، وصدق الخليل الرؤيا، وحصل مراد الرب.

ومعلوم أن هذا الامتحان والاختبار إنما حصل عند أول مولود، ولم يكن ليحصل في المولود الآخر دون الأول، بل لم يحصل عند المولود الآخر من مزاحمة الخلة ما يقتضي الأمر بذبحه، وهذا في غاية الظهور.

وأيضا فإن سارة إمرأة الخليل صلى الله عليه وسلم غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة، فإنها كانت جارية، فلما ولدت إسماعيل وأحبه أبوه، اشتدت غيرة «سارة»، فأمر الله سبحانه أن يبعد عنها «هاجر» وابنها ويسكنها في أرض مكة لتبرد عن «سارة» حرارة الغيرة، وهذا من رحمته تعالى ورأفته، فكيف يأمره سبحانه بعد هذا أن يذبح ابنها، ويدع ابن الجارية بحاله، هذا مع رحمة الله لها وإبعاد الضرر عنها وجبره لها، فكيف يأمر بعد هذا بذبح ابنها دون ابن الجارية، بل حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد السرية، فحينئذ يرق قلب السيدة عليها وعلى ولدها وتتبدل قسوة الغيرة رحمة، ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها، وأن الله لا

(١) الذاريات: ٢٤، ٢٥.

(٢) الذاريات: ٢٨.

يضيع بيتا هذه وابنها منهم، وليرى عباده جبره بعد الكسر، ولطفه بعد الشدة، وأن عاقبة صبر «هاجر» وابنها على البعد والوحدة والغيرة والتسليم إلى ذبح الولد آلت إلى ما آلت إليه، من جعل آثارهما ومواطىء أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين، ومتعبدات لهم إلى يوم القيامة، وهذه سنته تعالى فيمن يريد رفعة من خلقه أن يمن عليه بعد استضعافه وذله وانكساره. قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾[1]. ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢١﴾[2].

قال ابن إسحاق: وسمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول: إن الذي أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه من ابنيه إسماعيل، وإنا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى، وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال الله تعالى: **﴿وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين﴾**. ويقول الله تعالى: **﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾**. يقول بابن وابن وابن، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الموعد بما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل. قال ابن إسحاق سمعته يقول ذلك كثيرا.

وفي رواية أخرى للقرظي انه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو خليفة فقال له عمر: إن هذا الشيء ما كنت أنظر فيه وإني لأراه كما قلت، ثم أرسل إلي رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علمائهم فسأله عمر بن عبد العزيز أي ابني إبراهيم أُمِرَ بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإنَّ يهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق، لأن

(١) القصص: ٥.

(٢) الآية ٢١ من سورة الحديد، وهذه الحجج. ذكرها ابن قيم الجوزية في زاد المعاد في هدى خير العباد ١/٧١ ـ ٧٥.

إسحاق أبوهم والله أعلم أيهما كان، وكل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لله عز وجل.[1].

قصة الذبيح في القول: إنه إسماعيل:

روى الطبري بسنده عن محمد بن إسحاق قال: كان إبراهيم فيما يقال إذا زارها ـ يعني هاجر ـ حُمِلَ على البراق يغدو من الشام، فيقيّل بمكة، ويروح من مكة، فيبيت عند أهله بالشام، حتى إذا بلغ معه السعي، وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أرى في المنام أن يذبحه.

وفي رواية أخرى عن بعض أهل العلم أن إبراهيم حين أمر بذبح ابنه قال له: يا بني خذ الحبل والمدية، ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب ليحطب[2] أهلك منه ـ قبل أن يذكر له شيئا مما أمر به ـ فلما وجه إلى الشعب اعترضه عدو الله إبليس ليصده عن أمر الله في صورة رجل، فقال: أين تريد أيها الشيخ؟ قال: أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه، فقال: والله إني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك، فأمرك بذبح بُنَيَّكَ هذا، فأنت تريد ذبحه، فعرفه إبراهيم فقال: إليك عني، أي عدو الله، فوالله لأمضين لأمر ربي فيه، فلما يئس عدو الله إبليس من إبراهيم اعترض إسماعيل وهو وراء إبراهيم يحمل الحبل والشفرة، فقال له: يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك؟ قال: يحطب[3] أهلنا من هذا الشعب، قال: والله ما يريد إلا أن يذبحك، قال: لِمَ؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قال: فَلْيَفْعَل ما أمره به ربه، فسمعًا وطاعة. فلما امتنع منه الغلام ذهب إلى هاجر أم إسماعيل وهي في منزلها، فقال لها: يا أم إسماعيل، هل تدرين أين ذهب إبراهيم بإسماعيل؟ قالت: ذهب به يحطبنا[4] من هذا الشعب، قال: ما ذهب به إلا ليذبحه، قالت: كلا هو أرحم به

---

(١) تفسير ابن كثير ١٨/٤. تفسير الطبري ٥١/٢٣. تاريخ الطبري ٢٧٦/١.

(٢) المعنى: لنحطب لأهلك.

(٣) المعنى: لتأتي بحطب لأهلنا.

(٤) المعنى: ليأتي لنا بحطب.

وأشد حبا له من ذلك، قال: إنه يزعم أن الله أمره بذلك، قالت: إنْ كان رَبُّهُ أمره بذلك فتسليماً لأمر الله. فرجع عدو الله بغيظه لم يصب من آل إبراهيم شيئا مما أراد، وقد امتنع[1] منه إبراهيم وآل إبراهيم بعون الله، وأجمعوا لأمر الله بالسمع والطاعة، فلما خلا إبراهيم بابنه في ـ الشعب وهو فيما يزعمون شعب ثبير ـ قال له: يا بني، إني أرى في المنام إني أذبحك قال: يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين.

وفي رواية: إن إسماعيل قال له عند ذلك: يا أبت إن أردت ذبحي فاشدد رباطي لا يصيبك مني شيء فينقص أجري، فإن الموت شديد، وإني لا آمن أن أضطرب عنده إذا وجدتُ مَسَّهُ، واشحَذْ شفرتك حتى تُجْهِزَ عَلَيَّ فتريحني، وإذا أنت أضجعتني لتذبحني فكبني لوجهي على جبيني ولا تضجعني لشقي، فإني أخشى إن أنت نظرت في وجهي أن تدركك رقة تحول بينك وبين أمر الله فِيَّ، وإن رأيتَ أن ترد قميصي على أمي فإنه عسى أن يكون هذا أسلى لها عني، فافعل. قال يقول له إبراهيم: «نِعْمَ العونُ أنتَ يا بُنَيَّ على أمر الله». قال: فربطه كما أمره إسماعيل فأوثقه، ثم شحذ شفرته ثم تله للجبين واتقى النظر في وجهه، ثم أدخل الشفرة لحلقه فقلبها الله لقفاها في يده، ثم اجتذبها إليه ليفرغ منه، فنودي: ﴿**أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا**﴾، هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه، يقول الله عز وجل: ﴿**فلما أسلما وتله للجبين**﴾ وإنما تُتَلُّ الذبائح على خدودها، فكان مما صدق عندنا هذا الحديث عن إسماعيل في إشارته على أبيه بما أشار إذ قال: كبني على وجهي قوله: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾[2].

(١) يراجع: تفسير الطبري: ٣٣:٥١. وتاريخ الطبري: ١:٢٧٦.

(٢) الصافات: ١٠٣/١٠٧.

الذبيح في الحديث النبوي:

رويت في تعيين شخص الذبيح، والتصريح باسمه عدة روايات علق عليها إجمالا بعض المفسرين والمؤرخين بأنها لم تصح، فمنهم من ذكر أحاديث بسندها، ومنهم من ذكر نص المتن أو بعضا منه دون ذكر السند والمصدر.

فقد تداول هؤلاء الأجلاء عبارة تناقلوها عن بعضهم مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ تحوي هذا المعنى. مثل قول ابن الأثير، وابن جرير وغيرهما: «وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كلا القولين، ولو كان فيهما حديث صحيح لم نَعْدُهُ إلى غيره»[1].

ومع إجلالنا لشيوخنا الكبار جزاهم الله خير الجزاء نستطيع أن نقول: إنه ربما لانشغالهم بالتدوين والتدريس لم يتسع معهم الوقت لتتبع المصنفات المختلفة للحديث النبوي، ولما كان الباحث يُفَرِّغُ وقتا كافيا لمسألة ما ربما وقف على ما لم يقف عليه شيوخه، وبالتتبع لبعض الأحاديث في الموضوع، وصلنا لمصادر بعضها، وللحكم عليها، فمنها الصحيح، ومنها الضعيف، وفيما يلي ما وقفنا عليه من أحاديث نبوية في أن الذبيح إسماعيل.

روى الصنابحي قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان، فذكروا الذبيح فقال: علي الخبير سقطتم، كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رجل فقال: يا رسول الله عُدْ عَلَيَّ مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فضحك صلى الله عليه وسلم، فقيل لمعاوية: وما الذبيحان؟

فقال: «إن عبد المطلب نذر إن سهل الله له حفر زمزم أن يذبح أحد أولاده، فخرج السهم على عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم، ففداه بمائة بعير.. والذبيح الثاني إسماعيل»[2].

---

(١) يراجع التفسيرين في تفسير «وفديناه بذبح عظيم» ابن كثير: ١٦/٤.

(٢) أخرجه الحاكم في كتاب المناقب من المستدرك، وصححه، وصححه الذهبي بتعدد الطرق وأخرجه الطبري وابن كثير والشوكاني وغيرهم في تفسير «وفديناه بذبح عظيم». وأخرجه ابن الأثير في قصة الذبيح من كتابه الكامل في التاريخ، وذكره غيرهم.

ذكر ابن حيان في البحر المحيط بعض ما استند إليه القائلون بأن الذبيح إسماعيل، فقال: واستدلوا بظاهر هذه الآيات: ويقول له عليه السلام «أنا ابن الذبيحين». ويقول الأعرابي «يا ابن الذبيحين. فتبسم عليه السلام، يعني إسماعيل وأباه عبد الله بن عبد المطلب... الخ»[1].

* روى الألوسي بسنده عن عطاء بن السائب أنه قال: كنت قاعدا بالمنحر فحدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال له: «نَزَلَ الكَبْشُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فِي هَذَا المَكَانِ»[2].

وفي تفسير ابن كثير:

* روى ابن ابي حاتم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الله تَعَالَى خَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يَغْفِرَ لِنِصْفِ أُمَّتِي وَبَيْنَ أَنْ يُجِيبَ شَفَاعَتِي، فاخْتَرْتُ شَفَاعَتِي وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أَعَمَّ لِأُمَّتِي، وَلَوْلَا الَّذِي سَبَقَنِي إِلَيْه العَبْدُ الصَّالِحُ لَتَعَجَّلْتُ فِيهَا دَعْوَتِي، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا فَرَّجَ عَنْ إِسْحَاق كَرْبَ الذَّبْحِ - قِيلَ لَهُ يَا إِسْحَقَ سَلْ تُعْطَ. فقال: أَمَا والَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لأَتَعَجَّلَنَّهَا قَبْلَ نَزَغَات الشيطان: اللَّهُمَّ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا فاغْفِره لَهُ وأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ».

* تعقيب الإمام ابن كثير: هذا حديث غريب منكر، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف الحديث، وأخشى أن يكون في الحديث رواية مدرجة وهي قوله: «أن الله لما فرج عن إسحاق.. إلى آخره، والله أعلم. فهذا إن كان محفوظا فالأشبه أن السياق إنما عن إسماعيل وإنما حرفوه بإسحق حسدا منهم كما تقدم.. وإلا فالمناسك والذبائح إنما محلها بمنى من أرض مكة، حيث كان إسماعيل لا

---

(١) يراجع التفسير الكبير - المسمى البحر المحيط. تأليف: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي. ط - مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض ٣٧١/٧.

(٢) روح المعاني - في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - للألوسي: ١٣٢/٢٣. ففي هذا الخبر دلالة على أن الذبح كان بمكة وأنه إسماعيل.

إسحق، فإنه إنما كان ببلاد كنعان من فلسطين[1].

* فأما حديث أن الذبيح إسحاق:

فقد روى الأحنف، عن العباس بن عبد المطلب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ذكر فيه: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ هو إسحق، وقد روي هذا الحديث عن العباس عن قوله لم يرفعه.[2].

* وعلق ابن كثير على هذا الحديث بمثل ما قال ابن الأثير: لو ثبت لقلنا على العين والرأس، ثم روى الحديث عن ابن جبير، ثم عقب عليه ببيان درجته فقال: ففي إسناده ضعيفان وهما، الحسن بن دينار البصري متروك، وعلي بن زيد بن جدعان منكر الحديث[3].

القائلون: إن الذبيح إسحاق وما أثر عنهم:

روى القول بأن الذبيح إسحق عن عدد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.[4].

فمن الصحابة: العباس بن عبد المطلب، عبد الله بن عباس، عمر بن الخطاب، عبد الله بن عمر، عبد الله بن مسعود، أبو هريرة.

ومن التابعين: أبو ميسرة، عبيد بن عمير، عكرمة، وسعيد بن جبير، مجاهد الشعبي، وزيد بن أسلم، عبد الله بن شفيق، الزهري، القاسم بن أبي برزة، مكحول، عثمان بن أبي حاضر، السدي، الحسن، أبو قتادة، أبو الهذيل، ابن سابط، كعب الأحبار.[5]

---

(١) تفسير ابن كثير: ١٦/٤.

(٢) أخرجه الطبري وابن كثير في تفسير «وفديناه بذبح عظيم».

(٣) تفسير ابن كثير: ١٧/٤.

(٤) اختاره ابن جرير الطبري، ورجحه دون مرجع.

(٥) ذكر هؤلاء ابن كثير والطبري عن ابن اسحق وغيره ونقله عنهما كثيرون بعدهما. يراجع تفسير الطبري بقوله تعالى: «يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك». الصافات من الآية ١٠٢ الصافات.

ومما رواه ابن كثير من آثار عنهم ما يلي:

١- عن أبي الأحوص افتخر رجل عند ابن مسعود رضي الله عنه فقال: أنا فلان ابن فلان ابن الأشياخ الكرام. فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله». وهذا صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه. روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما - أنه إسحق، وروى عبد الله عن أبيه العباس، وعن علي بن أبي طالب مثل ذلك. وكذا روى ابن إسحق بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، عنه كعب الأحبار قال: هو إسحق[١].

القائلون بأنه إسحق ــ عند الطبري ــ من الصحابة:

لا تختلف روايات ابن كثير عن روايات الطبري إلا من جهة طرق الرواية عند كل منهما أو زيادة خبر هنا أو هناك أو زيادة بعض من روي عنهم من الصحابة[٢].

* وبعض هؤلاء الصحابة ومن أخذ عنهم من التابعين - قالوا: إنه إسحاق، ثم عدلوا عن ذلك. وقالوا إنه إسماعيل مؤكدين ذلك ومعيبين القول بإسحاق، ومن هؤلاء: عبد الله بن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، وأبو هريرة، وغيرهم.

موجز لبعض ما رواه من أقوال التابعين:

١ - روى الطبري عن عمرو بن علي: بالسند إلى عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه. قال: قال موسى عليه السلام: يَارَبِّ يَقُولُونَ: يا إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ، فِيمَ قَالُوا ذَلِكَ؟ قال: إن إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَعْدِلْ بِي شَيْئًا قَطُّ إِلَّا اخْتَارَنِي عَلَيْهِ، وإِنَّ إِسْحَقَ جَادَ لِي بِالذَّبْحِ وَهُو بِغَيْرِهِ أَجْوَدُ، وَإِنَّ يَعْقُوبَ كُلَّمَا زِدْتُهُ بَلَاءً زَادَنِي حُسْنَ ظَن.[٣].

---

(١) يراجع: تاريخ الأمم والملوك للطبري (تاريخ الطبري) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (١/ ٢٦٤-٢٦٥).

(٢) يراجع تاريخ الطبري - تاريخ الأمم والملوك - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (١/٢٦٧).

(٣) يراجع - تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) ١/٢٦٦، وتفسير الطبري ٢٣/٥٥ - ط بولاق.

٢- وروى الطبري عن ابن بشار بالسند إلى عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن آخر بمثله.

٣- وحدثه أبو كريب بالسند إلى ابن سابط، وأبو كريب بالسند إلى أبي الهذيل بمثله.

٤- حدثه أبو كريب بالسند إلى أبي ميسرة قال: قال يوسف للملك في وجهه: ترغب أن تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن إسحق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله»[١].

٥- حدثه يعقوب بالسند إلى مسروق في قوله: «وفديناه بذبح عظيم». قال: هو إسحق.[٢]

* **يلاحظ**: أن الذين حدث عنهم الطبري هم: عمرو بن علي، وبشار، وأبو كريب، ويعقوب. وهؤلاء ينتهي سند أقوالهم إلى: عبيد بن عمير، وابن سابط، وأبي الهذيل، وأبي ميسرة ومسروق، وكلهم سمعوا من: كعب الأحبار. وممن حدثوا عنه كابن عباس، وابن مسعود وغيرهما.

حجج القائلين بأنه إسحق:

روى المفسرون وغيرهم حججا للقائلين أن الذبيح إسحاق وَرَجَّحَ ابن جرير هذا القول؛ فبعد أن أورد حجج القائلين أن الذبيح إسماعيل؛ شرع في الرد عليهم فقال: وأما الدلالة من القرآن التي قلنا: إنها على أن ذلك إسحاق أصح، فقوله تعالى مخبرا عن دعاء خليله إبراهيم حين فارق قومه مهاجرا إلى ربه إلى الشام مع زوجته سارة، فقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٣].

(١) تفسير ابن كثير ١٧/٤ ذكر ابن عبد البر في مقدمة التمهيد أن زيدا كان يدلس وقال ابن عيينة كان زيد رجلا صالحا وكان في حفظه شيء، وغير ذلك تهذيب التهذيب: ٣٩٧/٣.
وبداهة ـ مثل هذا القول يتنافى مع تواضع وخلق نبي كريم مثل يوسف عليه السلام.

(٢) يراجع تاريخ الطبري: ٢٦٦/١، ٢٦٧.

(٣) سورة الصافات: ٩٩، ١٠٠.

وذلك قبل أن يعرف هاجر، وقبل أن تصير له أم إسماعيل ثم أتبع ذلك ربنا عز وجل الخبر عن إجابته دعاءه، وتبشيره إياه «بغلام حليم» ثم عن رؤيا إبراهيم أنه يذبح ذلك الغلام حين بلغ معه السعي، ولا يعلم في كتاب ذِكْر[1] لتبشير إبراهيم بولد ذَكَرٍ إلا بإسحاق، وذلك قوله: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ[2]. وقوله: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾[3]. ثم ذلك كذلك في كل موضع ذكر فيه تبشير إبراهيم بغلام، فإنما ذكر تبشير الله إياه به من زوجته سارة، فالواجب أن يكون ذلك في قوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾[4] نظير ما في سائر سور القرآن من تبشيره إياه به من زوجته سارة.

وأما اعتلال من اعتل بأن الله لم يكن يأمر إبراهيم بذبح إسحاق، وقد أتته البشارة من الله قبل ولادته بولادته وولادة يعقوب منه من بعده، فإنها علة غير موجبة صحة ما قال، وذلك أن الله إنما أمر إبراهيم بذبح إسحاق بعد إدراك إسحاق السعي. وجائز أن يكون يعقوب ولد له قبل أن يؤمر أبوه بذبحه، وكذلك لا وجه لاعتلال من اعتل في ذلك بقرن الكبش أنه رآه معلقا في الكعبة، وذلك أنه غير مستحيل أن يكون حمل من الشام إلى الكعبة فعلق هنالك.

والسبب في أمر الله عز وجل إبراهيم بذبح ابنه الذي أمره بذبحه فيما ذكر أنه إذ فارق قومه هاربا بدينه مهاجرا إلى ربه متوجها إلى الشام من أرض العراق دعا الله أن يهب له ولدا ذكرا صالحا من سارة فقال: (رب هب لي من الصالحين) (يعني بذلك ولدا صالحا من الصالحين)، كما أخبر الله تعالى عنه فقال: ﴿**وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين، رب هب لي من الصالحين**﴾. فلما نزل به

(١) في كتاب لله عز وجل تبشير لإبراهيم.

(٢) سورة هود: ٧١.

(٣) سورة الذاريات: ٢٨، ٢٩.

(٤) سورة الصافات: ١٠١.

أضيافه من الملائكة الذين كانوا أرسلوا إلى المؤتفكة قوم لوط بشروه «بغلام حليم» عن أمر الله تعالى إياهم بتبشيره فقال إبراهيم إذ بشر به: هو إذا لله ذبيح. فلما ولد الغلام وبلغ السعي قيل له: أوف بنذرك الذي نذرت لله.

ذكر من قال ذلك ممن روى عنهم ابن جرير فيقول:

حدثني موسى بن هارون، قال: عن أبي مالك. وعن أبي صالح. عن ابن عباس، وعن مرة الهمذاني، عن عبد الله، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبرائيل عليه السلام لسارة: «أبشري بولد اسمه إسحاق. ومن وراء إسحاق يعقوب»، فضربت جبينها عجبا، فذلك قوله: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾[1]. وقالت: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٧٢ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[2]. قالت سارة لجبرائيل: «ما آية ذلك؟» فأخذ بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر، فقال إبراهيم: «هو إذا لله ذبيح»، فلما كبر إسحاق أتى[3] إبراهيم في النوم فقيل له: «أوف بنذرك الذي نذرت، إن رزقك الله غلاما من سارة أن تذبحه». فقال لإسحاق: «انطلق فقرب قربانا إلى الله...» ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾[4]. ﴿**وفديناه بذبح عظيم**﴾. فرجع إلى سارة فأخبرها الخبر، فجزعت سارة وقالت: «يا إبراهيم، أردت أن تذبح ابني ولا تعلمني!؟»[5].

ترجيح القرطبي بالقول بإسحق:

* يميل القرطبي إلى أن الذبيح هو إسحق، ويشايع بذلك النحاس والطبري ففي تفسيره يقول:

«اختلف العلماء في المأمور بذبحه، فقال أكثرهم: الذبيح إسحق، وممن

---

(١) سورة الذاريات: ٢٩.

(٢) سورة هود: ٧٢، ٧٣.

(٤) سورة الصافات: ١٠٣.

(٥) الخبر في التفسير ٢٣: ٤٩. يراجع: تاريخ الطبري ١/٢٧٢، ٢٧٣.

قال بذلك... ثم ذكر أسماء السبعة الصحابة الذين ذكرهم كل المفسرين والمؤرخين، ولم يذكر ممن ورد عنهم القولان إلا عبد الله بن عباس، وعقب على ذكر اسم عبد الله بن عباس بقوله: «وهو الصحيح عنه». وقال فهؤلاء سبعة من الصحابة.

ثم ذكر أسماء من قال به من التابعين، ولم ينبه إلى من قال بالقولين ثم قال: كلهم قالوا الذبيح إسحق، وعليه أهل الكتاب من اليهود والنصارى. واختاره غير واحد: منهم النحاس والطبري وغيرهما. ثم ذكر رواية عن سعيد ابن جبير. قال:

* قال سعيد بن جبير: أرى إبراهيم ذبح ابنه إسحق في المنام فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى أتى به المنحر بمنى، فلما صرف الله عنه الذبح أمره أن يذبح الكبش فذبحه وسار به إلى الشام مسيرة شهر في روحة واحدة، وطويت له الأودية والجبال[1].

وفي حجج القائلين أن الذبيح إسحق. قال القرطبي:

«واحتجوا له: بأن الله عز وجل قد أخبر عن إبراهيم حين فارق قومه وهاجر إلى الشام مع امرأته سارة، وابن أخيه لوط، وقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾[2]. أنه دعا فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾[3].

فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ...[4]﴾. وبأَنَّ الله تعالى قال: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾[5].

فذكر أن الفداء في الغلام الحليم الذي بُشِّرَ به إبراهيم، وإنما بُشِّرَ بإسحق،

---

(١) تفسير الطبري، ويراجع الفتوحات الإلهية ٥٤٨/٣، وستأتي مناقشة سعيد بن جبير في هذا القول في فصل المناقشات وابتداء نقول: إنه لم يرد في التوراة ولا في غيرها أي إشارة لذلك.

(٢) الصافات: ٩٩.

(٣) الصافات: ١٠١.

(٤) مريم: ٤٩.

(٥) الصافات: ١٠٧.

لأنه قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾[1] وقال هنا: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[2].

فنخلص من هذا أن إسحق أكبر من إسماعيل[3].

* ونقل ابن كثير عن عبد الرزاق من طريق القاسم قال:

«اجتمع أبو هريرة وكعب فجعل أبو هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وجعل كعب يحدث عن الكتب فقال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً وَإِنِّي قَدْ خَبَّأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ».

فقال له كعب أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم. قال فداك أبي وأمي ـ أو فداه أبي وأمي ـ أفلا أخبرك عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام؟ إنه لما رأى ذبح ابنه إسحاق قال الشيطان: إن لم أَفْتِنْ هؤلاء عند هذه لم أفتنهم أبدا، فخرج إبراهيم عليه الصلاة والسلام بابنه ليذحبه، فذهب الشيطان فدخل على سارة فقال أين ذهب إبراهيم بابنك؟ قالت: غدا به لبعض حاجته، قال: إنه لم يغد به لبعض حاجته، إنما ذهب به ليذبحه، قالت: وَلِمَ يذبحه؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك. قالت: فقد أحسن أن يطيع ربه[4]، فذهب الشيطان في أثرهما فقال للغلام: أين يذهب بك أبوك؟ قال: لبعض حاجته. قال: فإنه لا يذهب بك لحاجة ولكنه يذهب بك ليذبحك قال: ولم يذبحني؟ قال: يزعم أن ربه أمره

---

(١) الصافات: ١١١.

(٢) الصافات: ١٠١.

(٣) يراجع ـ الفتوحات الإلهية ـ ٥٤٨/٣. وهذا مخالف لما ورد في التوراة من أن إسماعيل ولد قبل إسحق بأربعة عشر عاما، فيبدو أن صاحب الفتوحات لم يتفحص الإصحاحات من ١٥ ـ ٢١ من سفر التكوين التي أوردت سيرة إبراهيم وبنيه.

(٤) في التوراة أنها غارت من ابن هاجر وكرهت أن يرث إسماعيل المال مع ابنها، فهل تحرص على الميراث كله لابنها إسحق ولا تحرص على حياته هو.

بذلك. قال فوالله لئن كان الله تعالى أمره بذلك ليفعلن. قال: فيئس منه فتركه ولحق بإبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال: أين غدوت بابنك؟ قال: لحاجة[1]. قال: فإنك لم تغد به لحاجة وإنما غدوت به لتذبحه قال: ولم أذبحه؟ قال: تزعم أن ربك أمرك بذلك. قال: فوالله لئن كان الله تعالى أمرني بذلك لأفعلن[2]. قال: فتركه ويئس أن يطاع.[3]

تعقيب:

ويظهر ميل القرطبي لترجيح القول بأن الذبيح إسحق، حيث يذكر أسماء من يرون أن الذبيح هو إسماعيل من الصحابة، فيذكر منهم أربعة فقط وهم: أبو هريرة، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، وروى أيضا عن ابن عمر، وابن عباس أيضا وأغفل غيرهم مثل معاوية بن أبي سفيان وغيره، وذكر من التابعين ثمانية فقط. ولم يستقص من روى عنهم أو على الأقل من اشتهروا منهم. ثم ذكر بعضا قليلا من حجج القائلين بذلك، ولم يذكر كل ما روى عنهم أو اشتهر لهم، ثم عمد إلى رد حججهم لينتهي إلى تقرير ما يميل إليه. فقال: واحتجوا بأن الله وصفه بالصبر دون إسحق، في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4].

* ووصفه بصدق الوعد في قوله: « إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ »[5].

* وبأن الله تعالى قال: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا ﴾[6]. فكيف يأمر بذبحه وقد وعده أن يكون نبيا.

* وأيضا، فإن الله تعالى قال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ

(١) ينسب كعب هنا الكذب إلى إبراهيم وهذا لا يليق بمقام إمام الأنبياء وأبيهم.

(٢) وهذا تجاهل من إبراهيم لا يليق بمقامه من الله.

(٣) ليس لهذا الخبر الذي رواه كعب أي ذكر في التوراة، ولا في تفاسيرها، فمن أين أتى به كعب؟

(٤) الأنبياء: ٧٥.

(٥) مريم: ٥٤.

(٦) الصافات: ١١٢.

يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾.[1]

* وأيضا، ورد في الأخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة فدل على أن الذبيح إسماعيل، ولو كان إسحق لكان الذبح يقع ببيت المقدس.

ثم يعقب القرطبي بقوله: «وهذا الاستدلال كله ليس بقاطع»[2].

تعقيب على تعقيب القرطبي

ونقول في الرد على تعقيب القرطبي: كيف لاقى فيما وصف الله به إسماعيل أدلة قاطعة على أنه الذبيح، والأبتلاء الذي تعرض له يحتاج إلى هذه الصفات التي وصف بها في القرآن، ولم يوصف اسحاق بشيء من هذه الصفات، وما وصف به إسحق لا صلة له بحادث الذبح، ويشهد لرأينا هذا ما روي عن الأمام أحمد في الخبر البالي.

قال الإمام أحمد: حدثنا شريح ويونس قالا: حدثنا حماد بن سلمة عن أبي عاصم الغنوي عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالمناسك عرض له الشيطان عند السعي فسابقه فسبقه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ثم ذهب به جبريل عليه الصلاة والسلام إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات.

وَثَمَّ تله للجبين وعلى إسماعيل عليه الصلاة والصلاة قميص أبيض فقال له: يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره فاخلعه حتى تكفنني فيه فعالجه ليخلعه فنودي من خلفه ﴿**أَنْ يَا إبراهيم قَدْ صَدَّقتَ الرُّؤْيَا**﴾ فالتفت إبراهيم، فإذا بكبش أبيض أقرن أعين. قال ابن عباس لقد رأيتنا نتتبع ذلك الضرب من الكباش،

(١) هود: ٧١.

(٢) الفتوحات الإلهية ـ للعجيلي ـ الشهير بالجمل: ٥٤٩/٣.

وذكر هشام الحديث في المناسك بطوله.[1]

رواية ثانية لقصة الذبيح في القول بأنه إسحق:

أورد الطبري رواية أخرى لقصة الذبيح عند من قالوا: ان الذبيح هو إسحق بن إبراهيم عليهما السلام على الوجه التالي كما وردت في تفسيره وتاريخه على السواء.

روى عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفي، أن كعبا قال لأبي هريرة: ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبي؟ قال أبو هريرة: بلى. قال كعب: لما أرى إبراهيم ذبح إسحاق، قال الشيطان: والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن أحد منهم أبدا، فتمثل الشيطان لهم رجلا يعرفونه، فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة إمرأة إبراهيم، فقال لها: أين أصبح إبراهيم غاديا بإسحاق؟ قالت: غدا لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله ما لذلك غدا به،.قالت سارة: فلم غدا به؟ قال: غدا به ليذبحه. قالت سارة: ليس من ذلك شيىء، لم يكن ليذبح ابنه. قال الشيطان: بلى والله. قالت سارة: فلم يذبحه؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك. قالت سارة: فهذا حسن بأن يطيع ربه إن كان أمره بذلك، فخرج الشيطان من عند سارة حتى أدرك إسحق وهو يمشي على أثر أبيه، فقال له: أين أصبح أبوك غاديا بك؟ قال: غدا بي لبعض حاجته. قال الشيطان: لا والله ما غدا بك لبعض حاجته، ولكنه غدا بك ليذبحك. قال إسحق: ما كان أبي ليذبحني. قال: بلى، قال: لم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قال إسحاق: فوالله لئن أمره بذلك ليطيعنه. فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم، فقال: أين أصبحت غاديا بابنك؟ قال: غدوت به لبعض حاجتي، قال: أما والله ما غودت به إلا لتذبحه، قال: لم أذبحه؟ قال: زعمت أن ربك أمرك بذلك. قال: فوالله لئن كان أمرني ربي لأفعلن. قال: فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلم إسحاق أعفاه الله، وفداه بذبح عظيم. قال إبراهيم لإسحاق: قم أي بني، فإن الله قد أعفاك،

(١) فعن ابن عباس رضي الله عنهما في تسمية الذبيح روايتان والأظهر عنه إسماعيل لما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

فأوحى الله إلى إسحاق: إني أعطيك دعوة أستجيب لك فيها. قال إسحاق: اللهم فإني أدعوك أن تستجيب لي: أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئا فأدخله الجنة.(١)

مرجع أقوال القائلين بأن الذبيح «إسحق»:

مرجع هذه الأقوال فيما يغلب على الظن، بل فيما يكاد يصل إلى حد اليقين أنها كلها ترجع إلى أقوال نقلت عن كعب الأحبار، وشواهد هذا الرأي ما يأتي:

* ـ ترجم له المؤرخون فقالوا: هو كعب بن ماتع الحميري اليماني ـ العلامة الحبر. ـ كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، قدم المدينة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجالس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، وكان يحفظ عجائب.

ـ حدث عنه: أبو هريرة، ومعاوية بن أبي سفيان، وابن عباس، وغيرهم.

ـ وحدث عنه عدة من التابعين كعطاء بن يسار وغيره ـ مرسلا.(٢)

تعقيب ابن كثير على القول بأن الذبيح هو «إسحق»:

ومما يؤيد ما ذهبت إليه من مرجع هذه الأقوال إلى كعب الأحبار ـ قول ابن كثير: وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أيضا.

وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تلقى إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ مسلما من غير حجة، وهذا كتاب الله شاهدا ومرشدا إلى أنه

---

(١) يراجع تفسير الطبري: ٥١/٣٣ ط ـ بولاق. وتاريخ الطبري: ٢٦٥/١، ٢٦٦ ـ ط ـ مصورة ـ دار سويدان ـ بيروت.

(٢) ترجمة ١١١ في سير أعلام النبلاء: ٤٨٩/٣ ـ ٤٩٤، وطبقات ابن سعد: ٤٥/٧، ٤٦، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ٤٣٨/٨ وغيرها.

إسماعيل.

وقال في موضع آخر: وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديما فربما استمع له عمر رضي الله عنه فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده.[1]

ولعل من الأدلة على صحة ما أرجحه ورجحه من قبل الإمام ابن كثير، أن القائلين بأن الذبيح إسحق من الصحابة، كلهم رووا عن كعب الأحبار، ومن قالوا بذلك من التابعين كل منهم روى عن أكثر من واحد من هؤلاء الصحابة، بل ان منهم عددا غير قليل روى عن كعب الأحبار، وفيما يلي ذكر من رووا عنه:

* ــ **من رووا عن كعب الأحبار من الصحابة** العباس بن عبد المطلب، عمر بن الخطاب، عبد الله بن عباس، عبد الله بن عمر، عبد الله بن مسعود، أبو هريرة، معاوية بن أبي سفيان وغيرهم.

* - وممن رووا عن كعب الأحبار من التابعين: تبيع الحميري ابن امرأته، مالك بن أبي عامر الأصبحي، عطاء بن رباح، عبد الله بن ضمرة السلولي، معطور أبو سلام، عبد الله بن رباح الأنصاري، أبو رافع الأنصاري، عبد الرحمن بن نغيث، روح بن زرباع، يزيد بن جمير، شريح، ابن مواهب، أبو ميسرة وآخرين[2].

فإذا رجعنا إلى أسماء من قالوا: ان الذبيح إسحق من الصحابة نجدهم ممن رووا عن كعب الأحبار، وكذلك من قالوا: إن الذبيح إسحق من التابعين.

نبذة عن كعب الأحبار:

هو: كعب بن مانع. يكنى أبا إسحق، المعروف بـ«كعب الأحبار». من

(١) تفسير ابن كثير: ١٧/٤.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٤٨٩/٣، ٤٩٠، تهذيب التهذيب: ٤٣٨/٨ في ترجمة كعب الأحبار.

حمير، من آل ذي رعين، وقيل: من ذي الكلاع، كان سكنه باليمن، وكان على دين يهود، فأسلم وقدم المدينة، ثم خرج إلى الشام فسكن حمص حتى توفي بها سنة ٣٢ هجرية في خلافة عثمان بن عفان.

* **سبب اسلامه وقدومه المدينة وولائه للعباس:**

قال العباس ـ بن عبد المطلب ـ لكعب: ما منعك أن تسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر حتى أسلمت الآن على عهد عمر؟ فقال كعب: إن أبي كتب لي كتابا من التوراة ودفعه إلي وقال: اعمل بهذا وختم على سائر كتبه وأخذ علي العهد بحق الوالد على ولده، ألا أفض الخاتم، فلما كان الآن ورأيت الإسلام يظهر ولم أَرَ بأسا قالت لي نفسي: لعل أباك غيب عنك علما كتمك فلو قرأته، ففضت الخاتم فقرأته، فوجدت فيه صفة محمد وأمته فجئت الآن مسلما.

* قال ابن سعد: فوالى ـ كعب ـ العباس... وأسلم في إمرة عمر...

ـ ذكر أبو الدرداء كعبا فقال: إن عند ابن الحميرية لَعِلْماً كثيرا[١].

* وقال ابن حجر عن معاوية ـ يعني: بن أبي سفيان ـ»... ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء[٢]، إن كان عنده لعلم كالثمار، وإن كنا فيه لمفرطين.

* وروى البخاري من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة، وذكر كعب الأحبار فقال: إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلوا عليه الكذب.[٣]

* وقال الذهبي: أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، وكان حسن الإسلام متين الديانة.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٤٥/٧ ـ ٤٤٦. وتهذيب التهذيب لابن حجر ٤٣٨:٨ ـ ٤٣٩.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٤٥/٧، تهذيب التهذيب لابن حجر ٤٣٨/٨، ٤٣٩.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٨٩/٣، ٤٩٠.

وكان خبيرا بكتب اليهود يعرف صحيحها من باطلها في الجملة.[1]

موقف العلماء من مرويات كعب وأهل الكتاب:

إن ما تمتلىء به كتب التفسير والتاريخ من أخبار غريبة يرجع معظمها إلى أهل الكتاب، ومن رووا عنهم دون نظر أو تعقيب[1]، نتيجة لحسن الظن بهم، واغترارا بما يبدوا لهم من ظاهر حالهم من حسن إسلام، ورغبة في معرفة تفصيل ما أجمله القرآن من أخبار الماضين، فكان فيما رووا ما هو معقول، وكان فيه ما هو غير معقول، وما هو من الغرائب والعجائب، وما هو منكر، وقد روى بعضهم ما هو كذب. وبعضهم خضع لعاطفته نحو أصول بني جلدته وموروثاتهم، أو من باب الافتخار بالآباء والأصول، فنحن إن أحسنا الظن بهم نقول: ربما أنهم نقلوا المحرف وهم لا يعلمون أنه مُحرف. ومن ذلك دعوى بني إسرائيل أن الذبيح أبوهم ليفاخروا العرب بذلك، كما يفاخرون العرب بأن أمهم سارة هي السيدة، وهي أخت إبراهيم من الأم أو ابنة عمه، أما هاجر أم العرب فهي أَمَةُ سارة، وهم يعلمون أن هاجر المصرية القبطية التي أهداها الفرعون الهكسوسي لسارة. إنما هي أميرة مصرية من الموحدين على دين إدريس عليه السلام، شاءت إرادة الله أن يتغلب ملك الهكسوس على فرعون مصر ويغتصب ملكهم حكم مصر، وتقع الأميرة هاجر في الأسر، وتصبح في حاشية الملكة الجديدة زوجة الفرعون الجديد، وكانت مؤمنة في السر فلما رأت وعلمت أن إبراهيم نبي ـ أشارت إلى زوجها أن يهدي هاجر إلى سارة، وهكذا نجى الله هاجر، وشرفها بأن تصبح زوجة إبراهيم وأم إسماعيل وبنيه. أمٌّ لأُمَّةِ العرب الذين استجاب الله لإبراهيم وإسماعيل فيهم، فبعث منهم محمدا صلى الله عليه وسلم: رسولا منهم يتلوا عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة وليقيموا الصلاة ـ أي ـ يقيموا الشريعة الخاتمة، فيخفون هذا ويدعون غيره.

فالعلماء من أهل الكتاب يعلمون هذه الحقائق، ولكن عاطفتهم كانت

---

(٥) في معظم الأحيان.

تطغى عليهم فيقولون عنه ما يعلمون، كما حدث من كعب حينما كان يحدث أن الذبيح إسحق، وهو يعلم أنه إسماعيل، أو على الأقل ـ رضي عن ما قرأ من أنه إسحق دون أن يمعن النظر في الشواهد والبراهين للوصول إلى القول الصواب.

ومما يدل على عاطفة كعب نحو تراثه اليهودي، أنه كان يحن إلى أن تكون صخرة بيت المقدس قبلة المسلمين فكان ينصح من يقدم بيت المقدس بذلك. ومن هؤلاء مطرف بن مالك القشيري ـ أبو رباب ـ وقد أخبر مطرف بذلك. قال: «أتيت دمشق فلقيت كعبا فقال: إذا أتيتم بيت المقدس فاجعلوا الصخرة بينكم وبين القبلة»[1].

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه. ما يأتي:

١ ـ قول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما عن كعب: «أن كان لمن أصدق هؤلاء الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا لنبلوا عليه الكذب».

صحيح أن بعض العلماء قالوا: إنه لا يقصد أن كعبا كان يقترف الكذب، وإنما كان ينقل عن أهل الكتاب، ومعلوم أنهم بدلوا وحرفوا في كتبهم... الخ. وعموما فالنتيجة واحدة وهو أن ما رواه فيه كذب يستوي في ذلك أن يكون هو قد تعمد الكذب، أو روى أخبارا كاذبة وهو يعلم كذبها، أو لا يعلم.[2]

٢ ـ ومرة أخرى قال ابن كثير في تفسير سورة النمل بعد أن أورد طائفة من الأخبار في قصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام:

«والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب عما وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله تعالى فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان ومما لم يكن، ومما حرف وبدل ونسخ، وقد أغنانا الله بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ، ولله

(١) هامش = ٤/٤٩٠ سير أعلام النبلاء.

(٢) المصدر السابق ٤/٤٨٩.

الحمد والمنة»[1].

* وهناك خبر يثير الدهشة والتساؤل عن حقيقة عواطف كعب نحو الإسلام واليهود والتراث الحقيقي لليهود يرويه أبو الرباب مطرف بن مالك القشيري ـ أحد من رووا عن كعب الأحبار وممن شهد فتح تستر وأحد خمسة وَلَوا قبض السوس.

فقد روى أبو الرباب قصة مؤداها أنهم عثروا في السوس على جثمان نبي من أنبياء بني إسرائيل وهو النبي «دانيال» وكان في تابوت وبجواره في التابوت (رَبْعَةٌ) فيها كتاب. وأموال أخرى وكان أهل السوس إذا أَسْنَتُوا[2]، أخرجوا التابوت وبه جسمان دانيال والكتاب واستسفوا به.

فأرسلوا إلى أمير المؤمنين عمر يخبرونه خبر دانيال، فأمرهم أن يوزعوا المال على المجاهدين ويصلوا على دانيال ويدفنوه ويغيبوا قبره.

وكان معهم رجل أجير نصراني، فقال لهم: بيعوني هذا الكتاب، فإنه كتاب الله، أُحْسِنُ أَنْ أقرأه ولا تحسنون[3]، فنزعوا دفتيه فأخذه بدرهمين. فلما كان بعد ذلك خرجوا إلى الشام، فخرج معهم شيخ على حمار بين يديه (مصحف) يقرأه ويبكي. فعرفوا منه أنه هو الكتاب الذي باعوه قبل ذلك، وأن كعب الأحبار أرسل إليه يطلب منه هذا الكتاب ـ فحضر إليه من تستر وصحب أبا الرباب حتى وصلوا إلى كعب الأحبار في الشام.

فجاء عدد من اليهود فتكلموا، ودار بينهم وبين كعب جدال فتواثق معهم على أن من يأتي بأهدى مما عنده الآخر فعلى الآخر أن يتبعه، فطلب كعب الكتاب من الشيخ وعرضه على اليهود، وقال لهم: أترضون أن يكون هذا بيننا؟

(١) تفسير ابن كثير ٣٦٦/٣ للآيات ٢٢ ـ ٤٤ النمل.

(٢) اسنتوا: أجدبت أرضهم بسبب عدم هطول المطر.

(٣) كان الكتاب ـ مكتوبا بالعبرانية، وهو النسخة الوحيدة الصحيحة في العالم وقتئذ كما سيخبر كعب الأحبار.

قالوا: نعم. لا يحسن أحد أن يكتب مثله اليوم ـ فدفعه إلى شاب منهم فقرأ فيه كأسرع قارىء، فلما بلغ إلى مكان منه نظر إلى أصحابه كالرجل يؤذن صاحبه بالشيء. ثم جمع يديه ـ وقال: يه ـ يعني أغلق الكتاب حتى لا يقرأ جهرا أمام الجميع من الحاضرين ما رآه ـ فنبذ الكتاب فقال كعب: آه وأخذه فوضعه في حجره فقرأ، فأتى على آية منه فخر سجدا... الخ.

ثم يتحدث مطرف بن مالك أنهم قدموا بيت المقدس وأن اليهود سمعوا بنعيم وكعب الأحبار فاجتمعوا فقال كعب: هذا كتاب قديم وأنه بلغتكم ـ يعني بالعبرانية ـ فاقرؤوه فقرأه قارئهم حتى أتى على ذلك المكان ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1]. فأسلم منهم اثنان وأربعون حبرا..[2].

ثم يذكر بعد ذلك ما موجزه أن كعبا حين احتضر طلب رجلا يأتمنه على أمانة، قال: فأتاه رجل، فدفع إليه ذلك الكتاب ـ التوراة ـ وطلب منه أن يركب مركبا ويسير في البحيرة إلى مكان حدده له فيقذف الكتاب فيه، ثم يعود إليه فيخبره بما رأى، ففعل الرجل فأخبر كعبا أنه عندما أتى المكان ذهب ليقذف الكتاب فانفرج له البحر حتى رأى الأرض فقذفه وأتاه فأخبره.

فقال كعب: إنها التوراة كما أنزلها الله على موسى، ما غيرت ولا بدلت ولكن خشيت أن يُتَّكَلَ على ما فيها، ولكن قولوا: لا إله إلا الله، ولقنوها موتاكم.

قال الذهبي: هكذا رواه ابن أبي خيثمة في تاريخه وعن هدية عن همام، وشهر لم يلحق كعبا.

وهذا القول من كعب دال على أن تلك النسخة ما غيرت ولا بدلت، وأن ما عداها بخلاف ذلك، فمن الذي يستحل أن يورد اليوم من التوراة شيئا على

---

(١) آل عمران ٨٥ .

(٢) باختصار وتصرف ـ راجع سير أعلام النبلاء ٣/٤٩١ ـ ٤٩٢.

وجه الاحتجاج معتقدا أنها التوراة المنزلة؟ كلا والله.[1]

قصة الذبيح في كتب الديانات الثلاث:

أ ــ قصة الذبيح في سورة الصافات:

تضمنت سورة الصافات موجزا للأحداث الرئيسية لقصة الذبيح بن إبراهيم عليه السلام، كما تضمنت عدة آيات قبل القصة وبعدها أمورا هامة وثيقة الصلة بالقصة تمهيدا لها وتعقيبا عليها، ويتصل بأحداث القصة وأشخاصها آيات من سور أخرى في القرآن:

أولاً: فأما أحداث القصة وما يتصل بها، فقد تضمنتها الآيات الآتية من سورة الصافات.

قال تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾.

- ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾
- ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾
- ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾
- ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾

(١) أ.هـ. بتصرف واختصار في بعض الأخبار. سير أعلام النبلاء ٣/٣٤٩، ٤٩٤.

(٢) الصافات: ٩٧: ١١٣.

- ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

ثانيا: وأما ما يتصل بالقصة من آيات فسنوردها في ـ المناقشات.

٢ ــ قصة الذبيح في انجيل برنابا:

- **«قال التلاميذ: يا معلم هكذا كتب في كتاب موسى أن العهد صُنِعَ بإسحق.**
- **أجاب يسوع متأوها: هذا هو المكتوب.**
- **ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع، بل أحبارنا الذين لا يخافون الله.**
- **الحق أقول لكم: إنكم إذا أعملتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا.**
- **لأن الملاك قال: «يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ولكن يعلم العلم العالم محتبك لله؟**
- **حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله.**
- **أجاب إبراهيم (ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله).**
- **فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلا: ﴿خذ ابنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة﴾.**
- **فكيف يكون إسحق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل بن سبع سنين؟[1].**

(١) في سفر التكوين: ما يدل على أن عمر إسماعيل كان أربعة عشر سنة عند ولادة إسحق.
« ففي الإصحاح السادس عشر وكان ابرام (إبراهيم) ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لابرام (تك ١٦/١٦).
« وفي الإصحاح الحادي والعشرين «وكان إبراهيم إبن مائة سنة حين ولد له إسحق ابنه». (تك ٥:٢١).

- **فقال حينئذ التلاميذ: إن خداع الفقهاء لجلي[1].**
- **لذلك قل لنا أنت الحق لأننا نعلم أنك مرسل من الله.**
- **فأجاب يسوع: الحق اقول لكم: إن الشيطان يحاول دائما إبطال شريعة الله.**

٣ ــ قصة الذبيح في سفر التكوين:

- **«وحدث بعد هذه الأحداث أن الله امتحن إبراهيم. فقال له: يا إبراهيم. فقال: هأنذا».[2].**
- **فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق[2]، واذهب به إلى أرض المريَا[3] وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك.»[4]**
- **فبكر إبراهيم صباحا، وشد على حماره، وأخذ اثنين من غلمانه معه، وإسحاق ابنه، وشقق حطبا لمحرقة، وقام وذهب إلى الموضع الذي قال له الله.**

---

(١) يراجع: إنجيل برنابا ـ تحقيق: سيف الله أحمد فاضل فصل ٤٤ ص٩٥. نشر دار القلم ـ الكويت سنة ١٣٠٩هـ ـ ١٩٧٣م. وهذا الإنجيل من الأناجيل التي حرمتها المجامع المسكونية، ولذا فالكنائس الحالية لا تعترف به، ولذلك لم يتضمنه العهد الجديد، شأنه في ذلك شأن كل الأناجيل «غير القانونية» أي التي لم تعترف بها المجامع الكنسية «المسكونية» على الرغم من أن هذا الإنجيل يترجح أنه صحيح على خلاف الأناجيل القانونية المعاصرة التي تضمنها كتاب «العهد الجديد» تراجع مقدمة إنجيل برنابا.

(٢) تكوين ١/٢٢، وفي رواية أخرى ذكرها ابن كثير وغيره من مفسري القرآن بالأثر. وكذلك وردت في إنجيل برنابا «ابنك البكر» (برنابا ـ ١٠/٤٤)، والأحداث التي يعنيها هنا هي ما كان من أمر الملائكة مع إبراهيم حين قدموا عليه لإهلاك قوم لوط، وما كان من أمر لوط بعد ذلك وما كان بين إبراهيم وأبيما لك وحمل سارة وميلادها، وغيرتها من هاجر وابنها... الخ.

(٣) أرض المريا أكمه على أرض في أورشليم «بيت المقدس» قاموس الكتاب المقدس ص٨٥٩ ع١.

(٤) ليس هناك أي أثر تاريخي لهذا الخبر.

- «وفي اليوم الثالث[1] رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد».[2]
- «فقال إبراهيم لغلاميه إجلسا أنتما ها هنا مع الحمار وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نعود إليكما.[3]
- فأخذ إبراهيم حطب المحرقة...».
- وكلم إسحق إبراهيم أباه وقال: يا أبي ــ فقال: هأنذا يا ابني. فقال: هو ذا النار والحطب، ولكن أين الخروف للمحرقة.
- فقال إبراهيم: الله يرى الخروف للمحرقة يا ابني، فذهب كلاهما معا.[4]
- فلما أتينا إلى الموضع الذي قال له الله بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط إسحق ابنه، ووضعه على المذبح فوق الحطب.
- ثم مد يده وأخذ السكين ليذبح ابنه.
- فناداه ملاك الرب من السماء وقال: إبراهيم إبراهيم. فقال: ها أنذا.
- لا تمد يدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئا، لأني أنا الآن علمت أنك خائف الله، فلم تمسك ابنك وحيدك عني.
- فرفع إبراهيم عينيه ونظر، وإذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقرنيه، فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده المحرقة عوضا عن ابنه.
- فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع ــ يهوه يراه، حتى أنه يقال اليوم في

(١) المسافة بين بئر سبع وأرض المريا لا تستغرق سوى بضع يوم بسرعة سفر بني إسرائيل حينئذ، فكيف سافروا ثلاثة أيام بلياليها ثم رأى إبراهيم الموضع الذي عرفه الله عليه من بعيد؟

(٢) معنى ذلك أن إبراهيم كذب على الغلامين وأخفى عنهما حقيقة ما سألاه عنه.

(٣) ومعنى ذلك أيضا أن إبراهيم عليه السلام غرر بابنه ولم يعرفه حقيقة ما أمره الله به وسار معه إسحق وهو في غفلة وجهل مما ينتظره ـ فلا يظهر هنا إيمان وصبر إبراهيم ولا إسحق. وإنما يظهر خداع من إبراهيم وغفلة من إسحاق.

(٤) لم يذكر موقف إسماعيل حين فوجيء بما صنع معه أبوه.

جبل الرب يرى[1].

المناقشة:

الحيز المخصص لكل بحث في المجلة لا يتسع لمناقشة كل نصوص وحجج أطراف النزاع في قضية الذبيح تفصيلا، لذا فقد حذفنا هذا الفصل، ونكتفي هنا بأمرين: أ ـ مناقشة نص أصل القضية ٤٨ في سفر التكوين تفصيلا. ب ـ مناقشة اجمالية لكل النصوص والحجج في فصل الخاتمة الذي يتضمن النتيجة والبراهين الدالة عليها.

(مناقشة النص الذي بنو عليه «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق...»).

أ ـ زعم مؤلفو التوراة وكتبتها في ـ سفر التكوين ـ كما تقدم في مقدمة هذا البحث أن الله قال لإبراهيم عليه السلام كما ورد في نسخ العهد القديم التي بأيديهم اليوم: «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك».[2]

ب ـ وفي نسخة التوراة العبرية «خذ الآن ابنك خصيصك الذي أحببت إسحق وسر ذاهبا إلى الأرض المرشدة، وأصعده هناك صعيدة على أخص الجبال التي قلت لك»[3].

جـ ـ وفي نسخة قديمة للتوراة: «اذبح ابنك وحيدك. وفي نسخة أخرى اذبح ابنك البكر».[4]

أدلة بيان الابن البكر والوحيد والخصيص:

والذي يهمنا هنا بيان مَنْ الابن البكر، والوحيد، والخصيص، هل هو

---

(١) سفر التكوين (٢٢:١ ـ ١٤).

(٢) العهد القديم ـ سفر التكوين: ٢٢: ١.

(٣) التوراة السامرية ـ سفر التكوين ٢٢/١.

(٤) تراجع التفاسير بالأثر، ومنها: تفسير ابن كثير، وفتح القدير للشوكاني، وزاد المسير لابن الجوزي وغيرهما في تفسيرهم لآيات قصة الذبيح في سورة الصافات.

إسماعيل أم إسحق؟ وذلك من خلال عدد من الدلائل في أسفارهم، وفي القرآن الكريم بالإضافة إلى مناقشة نصوصهم وحججهم، وأما الأدلة فمنها:

١ـ دليل ترتيب البنوة. وترتيب النبوة في التوراة والقرآن.

٢ـ دليل الصفات.

٣ـ دليل تقابل ذرية إبراهيم وإسحق (إسرائيل).

٤ـ دليل تعاقب الأحداث من تبوؤ مكان البيت حتى الفداء بالذبح.

وقد قدمنا الاستشهاد من التوراة مراعاة للترتيب الزمني للديانتين.

أولا: دليل ترتيب البنوة ــ في التوراة ــ والقرآن:

١ ــ ترتيب النبوة في التوراة:[١]

من سيرة إبراهيم في سفر التكوين يظهر من الابن الوحيد لإبراهيم عليه السلام.

- ففي الإصحاح الخامس عشر: «**فقال إبرام أيها السيد[٢] الرب ماذا تعطين وأنا ماض عقيما وَمَالِكُ بيتي هو إِلْيَعَازَرُ الدمشقي،...**»[٣].
- **وفي الإصحاح السادس عشر: «وأما سارای إمرأة إبرام فلم تلد له، وكانت لها جارية مصرية إسمها هاجر، فقالت سارای لإبرام: هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة. أُدْخُلْ على جاريتي لعلي أرزق منها بنين * فسمع إبرام لقول سارای فأخذت سارای إمرأة إبرام هاجر.. وأعطتها إبرام زوجة له * فدخل على هاجر فحبلت...[٤]. فولدت هاجر لإبرام ابنا * ودعا إبرام إسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل * وكان إبرام ابن ست**

(١) مجاراة لقولهم بأن الأسفار الخمسة الأولى عندهم هي أسفار التوراة، ـ أسفار موسى ـ.

(٢) ابرام هو إبراهيم، وهو يخاطب الله بلفظ «السيد».

(٣) تكوين ١٥/٢.

(٤) تكوين ١٦/١ ـ ٤.

وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبرام»[1].

- **«ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام وقال له: أنا الله القدير * سر أمامي وكن كاملا فأجعل عهدي بيني وبينك *...» فلا يدعي اسمك بعد أبرام * بل يكون اسمك إبراهيم...**
- **يختن منكم كل ذكر * فتختنون في لحم غرلتكم *... ابن ثمانية أيام يختن *...».**
- **وقال الله لإبراهيم: «سارای إمرأتك لا تدعو إسمها سارای * بل إسمها سارة * وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا...».**

«فسقط إبراهيم على وجهه وضحك وقال في قلبه هل يولد لابن مئة سنة. وهل تلد سارة وهي بنت تسعين»[2].

- **فأخذ إبرهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المتباعين بفضة كل ذكر من أهل بيت ابراهيم وختن لحم غرلتهم.**
- **وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم عزلته، وكان إسماعيل ابنه إبن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته.[3]**

وفي الإصحاح الحادي والعشرين يتحدث سفر التكوين عن ميلاد إسحق عليه السلام: «**وافتقد الرب سارة، كما قال * وفعل الرب لسارة كما تكلم * فحبلت سارة، وولدت لإبراهيم ابنا في شيخوخته *.. ودعا إبراهيم إسم ابنه المولود له الذي ولدته سارة إسحق * وختن إبراهيم إسحق ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمر الله***

(١) تكوين ١٦/١٥، ١٦.
(٢) تكوين ١٧: ١ ـ ١٥ مختصرا.
(٣) تكوين ١٧: ١ ـ ١٥ مختصرا.
(٤) تكوين ١٧: ١٦، ١٧.

- **وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحق ***»[1].

* ـ فمن من أولاد إبراهيم عليه السلام الذي يوصف بأنه الوحيد والبكر؟ هل هو إسحاق كما جاء في أول الإصحاح(٢٢) من سفر التكوين؟ أم إسماعيل؟. لقد صرحت عدة نصوص في مواضع من سفر التكوين، ولادة إسماعيل قبل إسحق بأربع عشرة سنة، من خلال النصوص المتعددة في الإصحاحات ١٥ ـ ١٧، ٢١ ـ ٢٢. فالحقيقة الواضحة التي لا يمارى فيها عاقل أن توراتهم:

أ ـ تنص صراحة على أن الابن الوحيد والبكر هو إسماعيل وليس إسحق، فقد ولد إسماعيل وعمر إبراهيم ست وثمانون سنة، وولد إسحق وعمر إبراهيم مائة سنة.

ب ـ وأن ذكر إسحق في «اذبح ابنك وحيدك إسحق» وضعت بمعرفة مؤلفي السفر، وليست من عند الله.

هذا هو ترتيب ابني إبراهيم: إسماعيل ثم إسحق ـ كما ورد في التوراة، وفيما يلي الأدلة على ذلك من القرآن الكريم:

٢ ــ ترتيب البنوة في القرآن الكريم:

أما القرآن الكريم، فقد نصت عدة آيات على ترتيب أبناء إبراهيم عليه السلام وأحفاده، فذكرت دائما إسماعيل في مقدمتهم.

وكذلك وردت فيه آيات تتحدث عن أنبياء الله، فكان إسماعيل دائما في مقدمة الأنبياء من أبناء إبراهيم وأحفاده عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام، إلا في آية واحدة لم يكن الترتيب فيها مقصودا.

قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ

(١) تكوين ١٧: ٢٣ ـ ٢٧.

(٢) تكوين ٢١: ١ ـ ٥.

مِنۢ بَعۡدِى قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ...﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾[3].

ثانيا: ترتيب النبوة:

وكما وردت آيات تذكر أبناء إبراهيم عليه السلام مرتبين بترتيب تاريخ موالديهم، فكذلك وردت آيات أخرى تنص على تكريم هؤلاء المذكورين من أبناء إبراهيم وتشريفهم بالنبوة مرتبين في سلسلة ذهبية نورانية حسب أسبقية كل منهم في الوجود وتشريف الله له بالنبوة والرسالة. ولم يرد مثل هذا الترتيب في كتب أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

أ ـ قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ..﴾[4].

ب ـ وقال تعالى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ..﴾[5].

جـ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ

(١) البقرة: آية ١٣٣.
(٢) البقرة: آية ١٤٠.
(٣) إبراهيم: ٣٩.
(٤) البقرة: ١٣٦.
(٥) آل عمران: ٨٤.

ـ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ...﴾[1].

تعقيب:

الاضطراد في ذكر أسماء الأنبياء من أبناء إبراهيم عليه السلام كما رأيناه في الآيات السابقة لا يمكن أن يكون مجرد مصادفة، بل إنَّنا لَنَرى أَنَّ ذكر هؤلاء الصفوة بهذا الترتيب له دلالته، وأنه مقصود من الله تبارك وتعالى: فلا يخفى أنه يقرر الواقع الذي حدث من ترتيبهم حسب مواليدهم وحسب بعثتهم ومن أن إسماعيل هو الإبن الأول، وهو أسبق من إسحق.

فلقد اتضح إذن من تسلسل الأحداث لحياة إبراهيم وسارة وهاجر، وإسماعيل، وإسحق في الإصحاحات من الخامس عشر إلى الثاني والعشرين من سفر التكوين أن إسماعيل قد ولد وعمر إبراهيم ست وثمانون سنة، وأن إسحق ولد وعمر إبراهيم مائة سنة، فقد كان إسماعيل هو البكر، وظل هو الابن الوحيد لإبراهيم مدة أربعة عشر عاما، ولا يوصف إسحق بأنه بكر إبراهيم ولا بأنه وحيده، لا في القرآن الكريم، ولا في التوراة، ولا في أسفارة اليهود، ولا في أسفار النصارى، ولا فيما كتب التاريخ اليهودي ولا في كتب التاريخ العامة.

دليل الصفات

صفات إسماعيل وإسحق:

من يتعرض لاختبار قاس رهيب مثل اختبار الذبح، وينجح فيه لا بد أن يكون قد رباه الله تربية خاصة، فعرضه لتجارب سابقة متدرجة تؤهله للنجاح في التجربة الكبرى التي تنتظره. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يكون الله قد طبعه على صفات تؤهله للنجاح في هذا الاختبار.

فما هي التجارب والصفات التي لها صلة وثيقة بحادث وقصة الذبح.

نستعرض هنا صفات كل من إسماعيل وإسحق لنتعرف على من تنطبق

(٤) النساء: ١٦٣.

عليه صفات الذبح من الابنين: إسماعيل أم إسحق.

١ ــ صفات وتجارب حياة إسماعيل عليه السلام:

تمهيد: سجل القرآن الكريم لإسماعيل عليه السلام صفحات من نور تتمثل في أعمال نادرة لا تحدث إلا من نبي كريم، وقلب عامر بالإيمان الخالص لله المسلم إسلاما نقيا كاملا لمن خلقه وكرمه واصطفاه، فاستحق تخليد ذكره، وتخليد الصفاة التي حباه الله بها، وسأقتصر هنا على ذكر صفات إسماعيل المتصلة بقصة الذبح.

ولما كان كَتَبَةُ التوراةِ ـ في سفر التكوين ـ قد عمدوا إلى إيهام الناس أن لا صلة لإسماعيل بمكة وبيت الله الحرام فيها، وأنه وأمه قد تغربا في برية بئر سبع ليبعدوا الأفكار عن وقوع أحداث قصة الذبح عند حرم مكة، ويوهموا الناس أنها وقعت في فلسطين، وحدثت مع إسحق.

لذلك سأذكر الآيات الدالة على صلة إبراهيم وإسماعيل بهذه المنطقة ففيها دليل على وقوعها في مكة، وأن في حرم مكة آثار تدل عليها.

فأذكر إذن مجموعتين من الآيات، الأولى تتضمن بعض أعمال إسماعيل، والثانية تتضمن بعض صفاته.

* ومن المعلوم أن الله أعلم إبراهيم عليه السلام بمكان البيت وأمره بتطهيره. ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾[1].

* ولتحقيق هذه الغاية، ولتنشأ أمة جديدة ـ خالصة الإسلام، صالحة لحمل رسالته الخاتمة أمَرَهُ الله أن يُسْكِن إسماعيلَ منذ مهده وأمه بجوار هذا البيت فاستجاب عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ

(١) الحج: ٢٦ .

إِلَيْهِمْ...﴾[1].

* وشب إسماعيل عليه السلام وبدأ يسعى مع أبيه لتحقيق هذه الغايات، وفيما يلي بعض أعماله مع أبيه إبراهيم عليهما السلام، وصفاته التي تحلى بها، ومدحه الله عليها.

المجموعة الأولى: آيات الأعمال:

١ - تطهير البيت: قال تعالى: ﴿.. وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾[2].

٢ - رفع قواعد البيت وبنائه: قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾[3].

٣ - التوجه إلى الله لاصطفاء الأمة المسلمة التي تقيم منهج الله: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾.[4]

٤ - طلب بعثة خاتم الأنبياء معلم الكتاب والحكمة، مزكي عباد الله: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[5].

المجموعة الثانية: آيات الصفات:

١ - صادق الوعد: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا

(١) إبراهيم: ٣٧.
(٢) البقرة: ١٢٥.
(٣) البقرة: ١٢٧.
(٤) البقرة: ١٢٨.
(٥) البقرة: ١٢٩.

نَبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾[1].

٢ - من الصابرين: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

٣ - من الأخيار: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾[3].

٤، ٥ - ومن الصالحين - الذي طلبه إبراهيم، والحليم المبشر به إبراهيم من الله ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[4].

٦ - مسلما لله،: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ...﴾[5].

صفات وتجارب حياة إسحق عليه السلام:

أعمال وصفات إسحق عليه السلام في القرآن الكريم:

على نفس المنهج الذي سرنا عليه في تقصي أعمال وصفات كل من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في القرآن الكريم نتقصى أعمال إسحق عليه السلام.

وكما وجدنا أن التوراة لا تذكر شيئا من ذلك عن إبراهيم وإسماعيل، كذلك نجدها لا تذكر شيئا في هذا المجال عن إسحق.

وبمراجعة القرآن الكريم فيما وجدناه من صفات رادفة لإسم إسحق، لم نجد شيئا له صلة بالمحنة والاختبار في أحداث قصة الذبيح، ولا نجد له أعمالا

(١) مريم: ٥٤.

(٢) الأنبياء: ٨٥.

(٣) ص: ٤٨.

(٤) الصافات: ٩٨ - ١٠١.

(٥) البقرة: ١٢٨.

متصلة بها، ولا نجد تسجيلا أو إشارة لآثار لها صلة بموطن إسحق عليه السلام.

وأما ما وصف به عليه السلام من صفة فكانت غير مردفة باسمه وإنما وردت عند البشارة بالحمل به وبمولده فهي صفة واحدة وهي «**العليم**» وهي صفة كما نرى لا علاقة لها بقصة الذبيح، وفيما يلي نماذج مما وصف به عليه السلام.

١ ـ واحد ممن يعبد بنو إسرائيل الهمم: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾(١).

٢ ـ ممن أنزل الله اليهم وحيا: ﴿...وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ..﴾(٢).

٣ ـ ضمن من نفى الله عنهم اليهودية والنصرانية: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾(٣).

٤ ـ من ذرية إبراهيم، وكلا هدى الله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا...﴾(٤).

٥ ـ مبشرة به سارة: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾(٥).

٦ ـ ومبشر إبراهيم به وبابنه يعقوب نافلة ـ أي زيادة بعد أن رزقه بإسماعيل عليهما السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾(٦).

---

(١) البقرة: ١٣٣.

(٢) البقرة: ١٣٦. وفي مثل مضمونها الآيات: ٨٤ آل عمران، ١٦٣ النساء.

(٣) البقرة: ١٤٠.

(٤) الأنعام: ٨٤.

(٥) هود: ٧١.

(٦) الأنبياء: ٧٢.

٧ - موهوب لإبراهيم، ومبشر به وبأنه سيكون في ذريته النبوة والكتاب: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾[1].

وضمير ذريته، يصح عوده على يعقوب، وعلى إسحق، وعلى إبراهيم عليهم السلام. وعوده على ابراهيم أظهر، لأن جملة «وجعلنا في ذريته النبوة» معطوفة على جملة «ووهبنا له إسحق ويعقوب» فالتقدير، ووهبنا لإبراهيم، وجعلنا في ذرية إبراهيم جميعا النبوة والكتاب.

٨ - بارك الله عليه: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ...﴾[2].

والضمير في باركنا يصلح أن يعود على إبراهيم، وعلى الذبيح.

٩ - ومن أولى الأيدي والأبصار، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾[3].

أما الصفة التي وصف بها نصا عند البشارة به فهي صفة «العليم».

١٠ - قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾. قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾[4].

وقال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾[5].

وإنما استقصيت هنا ما ورد عن إسحق عليه السلام ليتبين أن ليس من أعماله وصفاته شيء يتناسب مع أحداث قصة الذبيح... والله أعلم.

---

(١) العنكبوت: ٢٧.

(٢) الصافات ١١٣ .

(٣) ص ٤٥ .

(٤) الحجر ٥١ - ٥٢ .

(٥) الذاريات: ٢٨.

اندراج إسماعيل في ذرية إبراهيم مقابل ذرية إسحق، ويعقوب (إسرائيل):

من الدلائل على منزلة إسماعيل الخاصة في قلب إبراهيم عليه السلام، نجد القرآن الكريم في عدد الآيات يدرج إسماعيل فلا يصرح باسمه بل يكني عنه بأنه ذرية إبراهيم في مقابل ذرية إسحق، أو مقابل ذرية يعقوب أو إسرائيل.

١ ـ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ...﴾[1].

بل إن المقابلة تعدت إسحق ويعقوب وإسرائيل إلى آل إبراهيم وآل عمران مما قد يشير إلى أن الفريق الأخص من آل إبراهيم من إسماعيل وبنيه، ثم يعطف عليهم آل عمران ـ من ذرية يعقوب.

٢ ـ ﴿* إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[2].

٣ ـ ولم يكن القرآن وحده هو الذي أشار إلى هذه المنزلة الخاصة لإسماعيل في نفس أبيه إبراهيم، بل إن في التوراة أيضا إشارة حقيقية لذلك، فقد نص سفر التكوين على أنه ﴿**بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية ــ إسماعيل ــ سأجعله أمة لأنه نسلك**﴾[3].

* وفي سفر التكوين وفي القرآن ما يدل على تعلق قلب إبراهيم بابنه إسماعيل:

أ ـ ففي سفر التكوين: **قال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك**[4]. **فقال الله: بل سارة امرأتك تلد ابنا وتدعو اسمه إسحق، وأقيم عهدي معه**

---

(١) مريم: ٥٨.

(٢) آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤.

(٣) بتصرف: يراجع سفر التكوين: ٢١: ١٢.

(٤) لعل إبراهيم عليه السلام كان يتمنى أن يأذن الله له في أن يستقدم إسماعيل ليعيش معه في أرض الكنعانيين، وفي هذا دليل كاف على تعلق إبراهيم بإسماعيل.

عهدا أبديا لنسله من بعده.

ـ وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا، إنَي عشر رئيسا يلد، وأجعله أمة كبيرة».(١)

٤ ـ وفي سورة البقرة، أن ذرية إسماعيل هي ذريته وذرية إبراهيم في نفس الوقت: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ... وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ..﴾(٢).

دليل على إعانة إسماعيل لأبيه على أوامر الله:

لم تشر التوراة إلى صحبة إسحق لأبيه إبراهيم في عمل من أعمال الدين أو الدنيا، وإنما أشارت فقط إلى اشتراك إبراهيم وإسماعيل في الختان.

وقد أشار القرآن إلى عدة أمور اشترك فيها إسماعيل مع أبيه، وقد اقتضت حكمة الله أن يشب إسماعيل منذ العهد في جوار البيت الحرام بمكة ويحرم إبراهيم من صحبة وحيده وبكره له وحياته معه، وقد عوضه سبحانه عن ذلك باشراك إسماعيل معه في أعمال خالدة ومقدسة عند الله وفي كتبه، وكان إسماعيل فيها عونا لأبيه على تنفيذ أوامر الله تعالى، وكان من هذه الأعمال:

١ ــ الختان:

أ ـ ذكرنا فيما سبق ما نقلناه عن سفر التكوين أن الله أمر إبراهيم بالختان بأن يختن هو وكل ذكر في بيته.(٤)

فاختتن إبراهيم وختن ابنه إسماعيل وكل من في بيته من الغلمان والعبيد

---

(١) سفر التكوين ٢١: ١٨ ـ ٢١. وقوله عن إسماعيل «أنا أباركه» يعني بركة النبوة وقوله: «أثمره وأكثره كثيرا جدا» يعني ما ذكر بعد ذلك «اثني عشر رئيسا يلد اثني عشر بالقبائل العربية الكبرى، وأجعله أمة كبيرة ـ أمة العرب المستعربة».

(٢) البقرة: ١٢٨.

(٣) التكوين: ١٧.

(٤) تكوين ١٧/ ١ ـ ١٥ مختصرا.

ولم يكن إسحاق قد ولد بعد، وكان عمر إبراهيم حين اختتن هو وختن ابنه إسماعيل في يوم واحد تسعين سنة، وكان عمر إسماعيل أربع سنوات[1].

وفي تفسير ابن كثير للآية: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾[2] عن ابن عباس... ثم أنه بدا لإبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال لأهله: إني مطلع تركتي، فجاء. فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلا له، فقال: يا إسماعيل «إن ربك عز وجل أمرني أن أبني له بيتا، فقال: أطع ربك عز وجل. قال إنه قد أمرني أن تعينني، فقال: إذن أفعل ـ وكما قال ـ قال: فقام إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3]. قال حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ إبراهيم عن نقل الحجارة فقام على حجر، فجعل ـ إسماعيل ـ يناوله الحجارة ويقولان «ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم». رواه البخاري في كتاب الأنبياء.أ.هـ.[4]

٢ ـ أمر الله لهما بتطهير البيت وإعداده، دائما للشعائر.

﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ...﴾[5].

٣ ـ إشتراكهما في الدعاء لهما ولذريتهما وأداء المناسك: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ...﴾[6].

---

(١) تكوين: ١٦: ١٦.

(٢) البقرة: ١٣٧.

(٣) البقرة: ١٣٧.

(٤) نقلا عن (تفسير ابن كثير: ١/١٧٧، ١٧٨).

(٥) البقرة: ١٢٥.

(٦) البقرة: ١٢٥ ـ ١٢٩.

تعقيب:

ومعلوم بالطبيعة أن الصحبة والمعونة والموافقة دليل على الحب.

ولم تذكر لنا التوراة خبرا واحدا يدل على صحبة إسحق لإبراهيم، ولا معونته له، في حين يذكر القرآن والسنة أن إسماعيل كان عونا لأبيه، وكان مشاركا له فيما كلفهما الله به.

وهكذا نرى الصلة الوثيقة التي تميز منزلة إسماعيل لدى أبيه إبراهيم مما يدل على مدى تعلق إبراهيم بإسماعيل عليه السلام، مما يبرر أن الاختيار الحقيقي من الله لإبراهيم كان في إسماعيل ولم يكن في إسحق.

دليل تعاقب الأحداث:

* والمقصود بتعاقب الأحداث: تعاقب أحداث بناء الكعبة، ومناسك الحج، وقصة الذبح.

ومضمون هذا العنوان ليس إخبارا بالنص عن ابن عباس رضي الله عنه وتلاميذه من التابعين، وإنما يمكن أن تتعاقب الأحداث إذا طابقنا بين نصين. أوردهما بعض المفسرين كابن كثير والشوكاني وغيرهما. النص الأول في تفسير آيات رفع إبراهيم وإسماعيل لقواعد البيت وطلبهما من الله بيان مناسك الحج «وأرنا مناسكنا». والنص الثاني في قصة الذبيح «وتله للجبين».

فجزء النص الأول يرد فيه أمر الله لإبراهيم برفع قواعد البيت، وأما الجزء الثاني منه والجزء الأول من النص الثاني، وهما الأكبر من النصين فيتطابقان نصا في بيان جبريل مناسك الحج لإبراهيم وإسماعيل، وخاتمة النص الثاني تعقيب على الحَدَثَيْن السابقين، فإنه عَقِب بيان المناسك «وَثَمَّ؛ تله للجبين» مما يدل دلالة واضحة بتعاقب هذه الأحداث الثلاث، ومما يشير إلى ترجيح هذا الذي ذهبت إليه بأن النصين يكادان يكون مصدرهما واحداً، وهو ابن عباس رضي الله عنه، فأما النص الأول فهو عن مجاهد ـ وهو أحد الرواة عن ابن عباس والنص الثاني عن ابن عباس نفسه.

النص الأول: في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ... وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا..﴾[1].

* أخرج سعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾. فأتاه جبريل، فأتى به البيت فقال: ارْفَع القواعد. فرفع القواعد وأتم البنيان، ثم أخذ بيده فأخرجه فانطلق به نحو مِنَى، فلما كان عند العقبة، فإذا إبليس قائم عند الشجرة، فقال ـ أي جبريل ـ كبر وأرمه، فكبر ورماه، فذهب إبليس حتى أتى الجمرة الوسطى ففعل به إبراهيم كما فعل في الأولى، ثم كذلك في الجمرة الثالثة.[2]

ثم أخذ جبريل بيد إبراهيم حتى أتى به المشعر الحرام فقال: هذا المشعر الحرام، ثم ذهب حتى أتى به عرفات قال: وقد عرفت ما أريتك؟ قالها ثلاث، قال نعم ـ أي بإبراهيم ـ نعم قال: فأذن في الناس بالحج. قال: وكيف أؤذن.. الحديث[3].

النص الثاني: في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾[4].

روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

* لما أمر الله إبراهيم بالمناسك عرض له الشيطان عند السعي فسابقه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ثم ذهب به جبريل ـ أي بإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان، فرماه ـ جبريل ـ بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب... ﴿وَتَلَّه للجبين﴾، وعلى إسماعيل عليه الصلاة والسلام قميص أبيض، فقال: يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره فأخلعه حتى تكفنني فيه فعالجه ليخعله

---

(١) البقرة: ٢٨.

(٢) هذه رواية الشوكاني: ١/١٤٣.

(٣) ابن كثير في تفسيره ـ ذكر سنده ـ عن سعيد بن منصور فقط عن عتاب بن بشير عن حصيف عن مجاهد نحوه ـ يراجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٨٣، ١٨٤.

(٤) الآية: ١٠٣ من سورة الصافات.

فنودي من خلفه:﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾[1] فالتفت... الحديث».

قال ابن كثير: وذكر هشام الحديث في المناسك بطوله، ثم رواه أحمد بطوله عن يونس ابن سلمة.. عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره، إلا أنه قال إسحاق، فعن ابن عباس رضي الله عنهما في تسمية الذبيح روايتان، والأظهر أنه إسماعيل لما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى»[2].

مما سبق يتضح بما يشبه التأكيد أن هناك أحداثا متعاقبة مترابطة آخذا بعضها بناصية الآخرين، حتى تنتهي بفداء الله للذبيح «بذبح عظيم».

حيث تبدأ هذه الأحداث بما أفصحت عنه الآيات الكريمات من قول الله تعالى ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦﴾[3]. ثم إشراك إسماعيل في هذه المهمة. ﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ...﴾[4].

ويبدو أن إشراك إسماعيل كان بعد أن كبر وأصبح قادرا على السعي (العمل) مع أبيه ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾[5] ثم أمرهما الله برفع القواعد من البيت فاستجابا لله، وفي أثناء قيامهما ببنائه توجها إلى الله بالدعاء ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآ ... وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا...﴾[6]. فنزل جبريل وعلمهما المناسك، ويبدو أنه في إحدى ليالي أداء المناسك كانت الرؤيا ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ.. الآية»[7].

(١) من الآيتين: ١٠٤، ١٠٥ الصافات، يراجع تفسير ابن كثير ١٥/٤.

(٢) يراجع تفسير ابن كثير ١٥/٤ ـ ط ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٩٨٣م.

(٣) الحج: ٢٦.

(٤) البقرة: ١٢٥.

(٥) الصافات: ١٠٢.

(٦) البقرة: ١٢٧، ١٢٨.

(٧) الصافات: ١٠٢.

فلما تمت المناسك أسلم إبراهيم وإسماعيل قيادهما لأمر الله، فأنزل الله الفداء: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾[1]. وكانت باقي أحداث القصة التي ذكرها الله في سورة الصافات.

هذا ملحظ يوصل إلى ما يشبه اليقين إن لم يكن يقينا جازما أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

(١) الصافات: ١٠٣.

الفصل الثاني

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة. مع نصوص الكتب الدينية للأديان الثلاث: الوثيقة الصلة بالذبيح: القرآن الكريم، والحديث النبوي، وانجيل برنابا، وسفر التكوين ـ من التوراة ـ ومع أسماء وأقوال وحجج من قالوا بأن الذبيح إسماعيل، ومن قالوا إنه إسحاق.

وبعد مناقشتنا لأقوال وحجج القائلين بأن الذبيح إسحاق، ثم إلقائنا نظرة على أصول وحجج القائلين بأنه إسماعيل، نكون قد وصلنا إلى نهاية المطاف، ولم يبق أمامنا إلا:

أولا: تقرير نتيجة العرض والمناقشات.

وثانيا: سرد سريع وموجز للبراهين المؤيدة لما ذهبنا إليه.

اولا: النتيجة:

بعدما قدمنا من عرض لأقوال وحجج الفريقين، وما قدمنا من مناقشة لها، ظهر بما لا يدع مجالا لشك أو لريبة ما يأتي:

أ ـ بطلان دعوى بني إسرائيل أن الله أَمَرَ إبراهيم بذبح إسحاق، وبطلان أقوال من تابعوهم من المسلمين، أو قالوا بمثل ما قالوا به.

ب ـ وضح تماما من سياق نصوص الكتب الدينية للأديان الثلاث، وسياق الأحداث، وعلاقاتها بالأماكن وصفات إبراهيم عليه السلام وابنيه وغير ذلك أن الذبيح هو إسماعيل بن إبراهيم عليهم جميعا السلام.

ثانيا: موجز مختصر للبراهين على أن الذبيح إسماعيل:

١ ـ من سياق التوراة ـ سفر التكوين ـ يتضح تناقض ما ورد في الإصحاح (٢٢) مع ما ورد في الإصحاحات (١٥، ١٦، ١٧، ٢١) حيث ورد في

الإصحاح (٢٢) أن الله أمر إبراهيم بذبح (ابنه الوحيد إسحاق) ونصت الإصحاحات السابقة على أن الإبن البكر والذي ظل وحيدا مدة أربعة عشر عاما هو إسماعيل، مما يدل على أن كلمة «إسحاق» غير متوائمة مع الحقيقة التي قررت في الإصلاحات (١٥-٢١) من نفس سفر التكوين، وأن الأصل كان «اذبح ابنك الوحيد الذي تحبه إسماعيل». ولكن أحبار اليهود حرفوه، فبدلوا كلمة «إسماعيل» بكلمة «إسحاق» أو أن النص كان: «إذبح ابنك الوحيد الذي تحبه» فأضاف اليهود إليه إسم «إسحق» حسدا منهم للعرب المسلمين أبناء إسماعيل، حيث يعلمون أن النبي الخاتم سيبعث منهم.

٢ - ينص إنجيل برنابا صراحة على لسان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أن الذبيح إسماعيل، ولكن الأحبار الذين لا يخافون الله هم الذين كتبوا إسحاق بدلا من إسماعيل (إصحاح ٤٤ برنابا).

٣ - أن سياق قصة الذبح في سفر التكوين يتناقض مع ما يقوله علماؤهم، ففي التكوين أن إبراهيم لما أمره الله أن يصعد ابنه جبلا في أرض المُريَّا بَكَّرَ وحمل حطبا على حمار وأخذ غلامين.. الخ. في حين أن الأحبار يقولون إن جبريل صحبه هو وإسحاق على البراق - والتكوين يقول: إنه سافر ثلاثة أيام حتى رأى الموضع من جديد، في حين أن الواقع الجغرافي يكذب ذلك، فأرض المريا بالقدس والمسافة بينها وبين بلاد الكنعانيين حيث يسكن إبراهيم لا تستغرق أكثر من ساعات من نهار واحد، اللهم إلا إذا كان سفره إلى مكة، وهذا لم تذكره التوراة، وأرض المريا ليست في مكة، بل في القدس كما ورد في قاموس الكتاب المقدس. (ص٨٥٩ - ع١، تك٢٢:٢).

ثم إن القصة هنا تنسب لإبراهيم الكذب على زوجته وعلى خدمه وعلى ابنه وهذا لا يليق بمقام نبي هو أبي الأنبياء، وخليل الله، والصادق مع الله،

والموفي لله فهذه صفاته التي نص عليها في التوراة والقرآن.

٤ - أن في سفر التكوين تناقضا آخر في تحديد عمر إسماعيل وعمر إسحاق، في الإصحاح (٢١) أن إبراهيم صنع وليمة بمناسبة ختان إسحاق (والختان يكون في اليوم الثامن لميلاد الطفل) وأن سارة غارت من إسماعيل لَمَّا رأته يلعب في الحقل، فأمرت إبراهيم أن يبعد إسماعيل وأمه، فبكر إبراهيم وحملهما على حمار حتى وضعهما في برية بئر سبع، ولما فرغ الماء عند هاجر وضعت الطفل تحت شجرة كي لا تراه وهو يموت من العطش لأنها لم تستطع أن ترضعه لأن لبنها جف بسبب عطشها، وهذا الكلام يتناقض مع الحقيقة التي أثبتتها الإصحاحات وهي أن عمر إسماعيل عندما ولد إسحاق كان (١٤) سنة) مما يدل على أن هذين الخبرين في الإصحاحين (٢١، ٣٢) محرفان.

٥ - أن القصة تنسب لسارة أنها حرصت على أن تبقى أموال إبراهيم كلها لابنها إسحاق فأمرت إبراهيم أن يبعد إسماعيل وأمه حتى لا يرث مع ابنها، ثم تأتي روايات القصة بعد ذلك فتنسب إليها أن الشيطان حين حرضها لتتدخل لمنع ذبح إسحاق، فلما قال لها الشيطان إن إبراهيم يزعم أن ربه أمره أن يذبح ابنها لم تجزع على ابنها الوحيد الذي رزقت به بعد طول حرمان وشوق في شيخوختها (تسعون سنة). بل قالت بهدو: إن كان الله أمره بذلك فحسن أن يفعل، فهل تضن بالمال ليرثه ابنها وحده ثم لا تحرص على حياة ابنها نفسه؟

من سياق القصة في إنجيل برنابا:

٦ - في الإصحاح الرابع والأربعين من إنجيل برنابا. أن أحد تلاميذ المسيح سأله عليه السلام عما ورد في التوراة (في الإصحاح ٢٢ من سفر التكوين) من أن العهد (أي الأمر بالذبح) صنع بإسحاق. فأجاب المسيح عليه السلام إجابة واضحة ومحددة بين فيها أن العهد صنع بإسماعيل ولكن علماء بني

إسرائيل حرفوه، وقالوا إسحاق ظلما منهم لإسماعيل وبنيه فهم كما قال المسيح «الذين لا يخافون الله».

- وإذا كان المسيحيون يشككون في صحة نسبة هذا الإنجيل لبرنابا فقد قامت الأدلة العلمية والبراهين التاريخية على صحة نسبته له، ولكن المسيحيون لما نشر هذا الإنجيل ووجدوا فيه ما يخالف المدون لهم في الأناجيل والأسفار التي استقرت عليها المجامع المسكونية مؤخرا، زعموا أن هذا الإنجيل لم يؤلفه برنابا، واعتبروه من الأناجيل المحرمة وهي كثيرة جدا، والمهم أن المسيح عليه السلام يؤكد أن الذبيح إسماعيل، وليس إسحاق.

٧ - **سياق القصة في القرآن** يدل على أن إبراهيم تمنى الولد الصالح فبشره الله «بِغُلَامٍ حَلِيمٍ» أي حينما يكبر ويكابد مشقات العيش والتعامل مع الناس تظهر إحدى صفات التي فطره الله عليها وهي «حليم» «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ» أي بلغ مع أبيه إبراهيم السن التي يسعى فيها، وأيضا عندما أدى معه مناسك الحج، وبلغ السعي بين الصفا والمروة، أخبره إبراهيم بما رأى في المنام ﴿**يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى**﴾ فكانت إجابة الحليم لأبيه ﴿**يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين**﴾ وصفة الصبر هنا تَطَابَقَتْ مع صفة من صفات إسماعيل ﴿**وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين**﴾. والصبر هو الحلم أو صورة منه أو نتيجة له. وأيضا في الآية الأولى وعد الذبيح بأنه سيكون ﴿**مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ وصدق في وعده، ووصف الله إسماعيل في الآية الثانية بأنه ﴿**مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ فهذا إعلان من الله أن الذبيح الذي هو من الصابرين هو نفسه إسماعيل الذي هو من الصابرين. فالذبيح هو إسماعيل.

٨ - واستسلم الحليم لأمر ربه، واستسلم لتصرف أبيه ﴿**فلما أسلما وتله للجبين**﴾ فوفي بما وعد به أباه ﴿**ستجدني إن شاء الله من الصابرين**﴾

وقد وصف الله إسماعيل بأنه ﴿**كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا**﴾ وهكذا تتطابق صفات الذبيح ﴿**غلام حليم، ومن الصابرين**﴾ مع صفات إسماعيل ﴿**من الصابرين وصادق الوعد**﴾.

أما إسحاق، فقد وصف بأنه «غلام عليم، ونبيا من الصالحين» وغيرها من الصفات التي يتصف بها الأبرار من الأنبياء والصالحين، وليس لها صلة بالابتلاء العظيم الذي ابتلى به إبراهيم وابنه الذبيح.

٩ ـ اختبار الخلة: طلب إبراهيم الولد الصالح، وأجابه الله إلى طلبة فبشره به وبأنه سيكون ﴿**غلام حليم**﴾ لأنه اقتضت إرادته سبحانه أن يجري لإبراهيم بلاء في ابنه هذا الذي تمناه واشتاق إليه، وذلك هو اختبار الخلة التي أنبأ عنها القرآن والتوراة والإنجيل أنها من صفات إبراهيم: ففي التوراة: «... إِبرَاهِيمُ خَلِيلُكَ..»(٢ أيام ٢٠:٧). وفي العهد الجديد: «...فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ باللّهِ، وحُسِبَ لَهُ بَرّا، وَدَعِيَ خَلِيلُ اللَّهِ»(يعقوب ٢:١٦). وأما القرآن: فقد أعد الله إبراهيم ليكون أبا الأنبياء، وليكون أمة، ولتكون ملته هي الملة المنبع، وأن يكون أسوة حسنة، فاتخذه خليلا. ﴿**واتخذ الله إبراهيم خليلا**﴾. (١٢٥ النساء). فأما وقد وهبه الله الإبن الصالح كما تمنى فأيهما سيكون أعمق جذورا في نفس إبراهيم. خُلَّتُهُ لِلَّه أم حبه للابن الوحيد الذي رزق به على شوق وحرمان استمر أكثر من خمس وثمانين سنة؟ فكان لا بد من الاختيار ـ فكان الابتلاء لتتميز الخلة وتعلو على عاطفة الأبوة. وتم الاختبار ﴿**فلما أسلما وتله للجبين**﴾ وعلت الخلة على عاطفة الأبوة. تبين وفاء إبراهيم ﴿**وإبراهيم الذي وفى**﴾ و﴿**إن إبراهيم لأواه حليم**﴾ كما تبين وفاء ـ الغلام فيما وعد أباه ﴿**ستجدني إن شاء الله صابرا**﴾ فوفى فقال الله عنه: ﴿**واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا**﴾. (٥٤ مريم).

١٠ ـ وإسحاق لم يكن الإبن البكر «ولم يكن الإبن الوحيد لإبراهيم، فقد سبقه

إسماعيل ولم يرزق به إبراهيم على شوق، فقد أشبع إسماعيل هذا الشوق وأطفأ حرارته، ولذلك كان إسحق نافلة هو وابنه يعقوب من بعده، ولم يكن معه مبرر لتنازع الخلة والأبوة. ﴿**ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة**﴾ (٧٢ الأنبياء).

١١ ـ ثم إن الفداء ﴿**ذبح عظيم**﴾ خرج من ثبير، وهو جبل بعرفات، وعرفات من حرم مكة، حيث يسكن إسماعيل. أما إسحاق فكان يسكن بأرض الكنعانيين بفلسطين من أرض الشام. وليس بجائز أن يقال إن إبراهيم أتى بإسحاق على البراق لمكة، وأن البراق يقطع مسافة الشهر في غداة، فلما فدى إسحاق عاد به إبراهيم كذلك على البراق. لأن الخبر في التوراة يبطل هذا القول ـ من أربع جهات: ١ ـ مكان الذبح، ٢ ـ وسيلة المواصلات، ٣ ـ مدة السفر، ٤ ـ المصاحبين لإبراهيم.

ففي الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين:

١ ـ مكان الذبح أرض المريا بأورشليم (القدس) وليس المنحر بمنى من حرم مكة.

٢ ـ ووسيلة المواصلات حمار إبراهيم وليس البراق.

٣ ـ ومدة السفر ثلاثة أيام حتى رأى المكان من بعيد وليس ساعة أو غداة على اختلاف في الروايات.

٤ ـ والمرافقون غلامان من غلمان إبراهيم وليس جبريل، وهكذا تكذب التوراة أقوال أحبار وعلماء اليهود أو يكذب الأحبار ما كتب في التوراة.

١٢ ـ أن كعب الأحبار قد اعترف صراحة، وأمام جمع من اليهود والمسلمين بأن جميع نسخ التوراة في عصره محرفة، وأن النسخة الوحيدة التي كانت صحيحة هي التي كانت بجوار جثمان النبي دانيال ووصلت إليه واحتفظ بها مدة، ثم لما حضرته الوفاة أمر بها فألقيت في البحيرة، وأن المياه

انشقت لها حين ألقيت فيها حتى ظهرت أرض البحيرة ثم انطبق عليها الماء فمعنى ذلك أن نسخ أسفار اليهود الموجودة الآن محرفة وما فيها من أخبار لا يوثق بها ويغلب عليها الكذب، والذين حرفوها هم علماؤهم وعبادهم ـ أحبارهم ورهبانهم ـ فليس في كلام الأحبار والرهبان ثقة، وليس في أخبار الأسفار ثقة باعترافهم هم، علاوة على أن القولين تَعَارَضَا فتساقطا.

١٣ ـ الخبر عن أن الكبش خرج من ثبير، وعن أن ذبحة كان في منى لم يرد عن ابن عباس وعدد من الصحابة فقط، وإنما أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر في حجج القائلين بأن الذبيح إسماعيل.

١٤ ـ **والضمائر في الخبر عن الذبيح:** أ ـ في أوله ضمائر الخطاب لإبراهيم، وضمائر الغيبة للذبيح. ب ـ ثم عودة بالضميرة للغيبة عن إبراهيم. جـ ـ ثم عطف البشارة بإسحاق على أخبار الذبيحة مما يدل على أن إسحاق غير الذبيح، فتعين أن يكون إسماعيل هو الذبيح، وذلك في:

أ ـ **﴿فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه ان يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين﴾**

ب ـ **﴿وفديناه بذبح عظيم * وتركنا عليه في الآخرين.﴾**

جـ ـ * **سلام على إبراهيم * كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين﴾**. وبعد ذكر قصة الذبح والثناء على إبراهيم وعلى الذبيح جاءت الآيات التالية تبشر بإسحق:

﴿وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين * وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾ (الصافات ١٠٣-١١٣).

فالضمائر في:

أ ـ تله، وفديناه، وتركنا عليه: تعود على الذبيح وثناء الله عليه.

ب ـ ثم يأتي الحديث عن إبراهيم والثناء عليه ﴿**سلام على إبراهيم...**﴾.

ج ـ ثم كانت البشرى لإبراهيم بإسحاق وبأنه سيكون نبيا من الصالحين مثل أخيه البكر إسماعيل ﴿**وبشرناه بإسحاق..**﴾. فالبشارة بإسحاق كانت بعد تمام الحديث عن قصة الذبيح والثناء عليه وبعد الثناء على إبراهيم، إذن فالذبيح غير إسحاق.

١٥ ـ الذبيح لم يصرح باسمه، وإنما ذكر بصفاته، والمبشر به ذكر باسمه، فمن من ابني إبراهيم (إسماعيل أم إسحاق) تتفق صفاته مع صفات إبراهيم وصفات الذبيح، فلنرجعلما ورد في التوراة والقرآن من صفات كل:

أ ـ وبالتحري لا نجد بغيتنا في التوراة اللهم إلا بعض صفات لإبراهيم بأنه خليلا، ووفيا، وصالحا أمام الرب، ولم يمسك ابنه وحيده، ولذلك يتبارك في نسله جميع الأمم. (تكوين ١٦/٢٢ وغيره). ولا نجد فيها شيئا من صفات لإسحاق وإسماعيل تتناسب مع اختبار حادث الذبح، فلا مناص من الإعتماد على القرآن وحده.

ب ـ وفي القرآن نجد فيه من صفات إبراهيم «الأواه الحليم، الذي وفى... الخ». ومن صفات إسماعيل «الصبر والوفاء بالوعد، ومن الأخيار، ونبيا من الصالحين» ومن صفات إسحاق «الحليم ونبيا من الصالحين». فمن من أبناء إبراهيم تتوافق صفاته مع الصفات التي تحلى بها الذبيح «الحليم، ومن الصابرين والاستسلام لأمر الله».

لا شك في أن هذه هي صفات إسماعيل، فلا مناص من التسليم بأن الذبيح إسماعيل لا إسحاق.

١٦ ـ ولا مجال للادعاء أن الذبيح كان إسحاق وأنه لمَّا أطاع واستسلم وفداه الله بَشَّر الله أباه بنبوته أي أن البشارة كانت بنبوءة إسحاق، فهذه الدعوى لا أساس لها كما مر من أن الأمر في سفر التكوين كان أن يأخذ ابنه

وحيده...» وقد ثبت أن الإبن الوحيد كان إسماعيل.

ثم إن البشرى هنا نص «بإسحاق» بذاته وصفاته، وليست لصفة من صفاته فقط ﴿**وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين**﴾ فلم يقل الله «وبشرناه بنبوة إسحاق» أو بأن إسحاق الذبيح كافأه الله بالنبوة مثلا.

١٧ ـ وعقب البشارة تأتي بركة الله على إبراهيم وإسحاق وذريتهما، أو على الذبيح وإسحاق وذريتهما، ﴿**وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين**﴾ هذا الضمير في عليه ﴿**وباركنا عليه**﴾ يجوز أن يعود على أقرب مذكور وهو إبراهيم، ويجوز أن يعود على من عطف عليه هذا الكلام وهو الذبيح، وعلى كل حال فالنتيجة واحدة، فالذريتان اللتان بارك الله عليهما بركة، عامة في الكثرة، وبركة خاصة في النبوة، هما ذرية إسماعيل وذرية يعقوب من إسحاق وفي هذا دليل آخر أن ذرية إسحاق فرع، وذرية الذبيح هي الفرع الثاني. فالذبيح إذن هو إسماعيل لأنه أب الفرع الثاني من أولاد إبراهيم كما هو معلوم ومسلم في كتب وتراث الفرعين، العرب والاسرائيليون، ولهذا القول شاهد في التوراة:

أ ـ الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين: «وقال الله لإبراهيم سارای امرأتك لا تدعو إسمها سارای، بل اسمها سارة، وأباركها وأعطيك منها ابنا، أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون»(١٥،١٦).

ب ـ ومنه أيضا: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنذا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا، اثني عشر رئيسا تلد، وأجعله أمة كبيرة» (٢٠، ٢١).

فإذا كان أبناء إسماعيل فيهم الإسلام وبعضهم منهم فيه يهودية ونصرانية، فكذلك بنو يعقوب بن إسحاق فيهم اليهودية والنصرانية وكثير منهم اعتنقوا الإسلام، فإسماعيل وإسحاق تحقق في نسلهما وعد الله في سورة الصافات من سور القرآن، ووعد الله في الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين من التوراة (من أسفار اليهود) وعلى ذلك بصريح هذه النصوص

«الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق»، لأن الخبر عن إسماعيل في الإصحاح ١٧ من سفر التكوين عن إسماعيل معطوف على الخبر عن إسحق، والخبر عن إسحق في سورة الصافات معطوف على الخبر عن إسماعيل، والعطف يقتضي المغايرة، فالذبيح غير إسحق، فهو إذن إسماعيل.

البراهين من الحديث النبوي:

١٨ ـ في حديث الصنابحي عن معاوية بن أبي سفيان من أن أعرابيا قال للرسول صلى الله عليه وسلم: «يابن الذبيحين...». فضحك صلى الله عليه وسلم ـ الحديث رواه الحاكم في المستدرك وصححه، وصححه الذهبي، وأخرجه الطبري وابن كثير والشوكاني وغيرهم.

ـ والذبيحان كما هو مقرر: عبد الله بن عبد المطلب، وإسماعيل بن إبراهيم.

١٩ ـ وحديث عطاء بن السائب أنه كان جالسا بالمنحر فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم نزل الكبش على إبراهيم في هذا المكان». رواه الألوسي في التفسير ١٣٢/٢٣.

٢٠ ـ وأما حديث بن أسلم ـ الطويل ـ والذي فيه «أن الله لما فرج عن إسحاق الذبح.. الحديث» فزيد بن أسلم كما قال عنه العلماء ضعيف، منكر الحديث، وفي حفظه شيء، وكان يدلس... الخ». (تهذيب التهذيب: ٣/ ٣٩٥ ـ ٣٩٧ ت٧٢١).

٢١ ـ وحديث الأحنف عن العباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في ﴿**وفديناه، بذبح عظيم**﴾ «هو إسحاق» ففيه ضعيفان: الحسن بن دينار البصري متروك، وعلي بن زيد بن جدعان ـ منكر الحديث (ابن كثير ٤/ ١٧). ويراجع في أبي دينار (تهذيب التهذيب: ٢٥٧/٢ ت٥٠٢) وفي ابن جدعان (تهذيب التهذيب ٣٣٢/٨ ت٥٤٤).

مـما أثر عن القائلين بأن الذبيح إسحق:

٢٢ ـ أثبتنا في عرض أقوالهم أن أقوالهم ترجع إلى كعب الأحبار، وأثبتنا في ترجمة كعب وآراء الصحابة في إسلامه ثم في مروياته، وأنه حسن إسلامه، واشترك في الفتوح وهذا الجانب نفوض علمه إلى الله، ولكن بالنسبة لأقواله فيما روى عن أهل الكتاب فلنا عليه تحفظات، فقد قال عنه معاوية: «وإن كنا لنبلوا عليه الكذب» وأثبتنا أنه وصلت إلى يده نسخة من التوراة وجدت في قبر النبي دانيال وصفها كعب نفسه بأنه لم يبق على وجه الأرض توراة صحيحة غيرها، ثم نقلنا عن الذهبي أن كعبا تخلص من هذه التوراة الصحيحة بإلقائها في البحيرة لتبقى النسخ المحرفة من التوراة، مما يؤكد الشك القوي حول كل ما روى كعب عن بني إسرائيل وحول أقواله ومنها قوله عن الذبيح، وقد قلنا في المناقشة: أنه مع التسليم بحسن إسلامه ولكن ما يبدو من صلاح الشخص وبلائه شيء، وعواطفه نحو بني جنسه وأصوله ومواريثه ربما يكون شيئا آخر، والله أعلم، لكن تصرف كعب يدعونا لعدم الثقة في أخباره الإسرائيلية.

٢٣ ـ ما روي عن ابن مسعود من قوله: «...ذلك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله» لم يذكر في الخبر عن ابن مسعود، وقد رواه الطبري دون ذكر سنده إلى ابن مسعود.

٢٤ ـ وما روي عن سؤال موسى عن قولهم: «إله إبراهيم وإسحق» «وأن الله أجابه»... وأما إسحاق فقد جاد لي بنفسه «فلم تذكر التوراة عنه شيئا، ومع ذلك فقد أورد الزمخشري الخبز عن نفس الراوي» محمد بن كعب القرطبي وفيه: «اللهم رب إبراهيم وإسماعيل وإسرائيل» وأن الله قال له: «...وأما إسماعيل فقد جاد لي بدم نفسه»

(الكشاف للزمخشري ٣/٣٥٠).

ومن جهة أخرى، فإن الرواية بأنه إسحاق رواها الطبري بعدة روايات في

سند كل منها ضعيفان فأكثر، منهم زيد بن أسلم، وهو ضعيف كما سبق، ورجل سماه بشارا دون ذكر إسم أبيه وكنيته أو لقبه، فهو إذن مجهول، ولم يذكر سند الرواية، ومع كل فقد وجدنا خمسة تراجم لرجال اسمهم بشار واحد منهم ثقة والباقون مجروحون، فهم ما بين: ضعيف، ومتروك الحديث، ودجال، ومن الدجالين، وزنديق. يراجع (سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٥٨١ وما بعدها، تهذيب التهذيب: ١/٤٤٠، ٤٤١).

٢٥ ـ وأما ما نسب إلى يوسف عليه السلام من أنه قال: «...أنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله إبن إسحاق ذبيح الله» فليس له ذكر لا في القرآن ولا في التوراة، ثم أن في سنده ـ أبو الهذيل ـ وهو رجل سكير كثير السكر، وكان رأس المعتزلة في زمانه (سير أعلام النبلاء ١٠/٥٤٢).

* وبمراجعة مرويات الطبري في هذا الموضوع نلاحظ أن طرقها إن كان فيها عدد من الثقات لكن في الغالب نجد في كل رواية ضعيفا أو أكثر، فكما رأيناه: فيهم الضعيف، والمنكر، والدجال، والزنديق والسكير.

كما نلاحظ أن من تنتهي إليهم طرق الروايات ممن حدثوا عن كعب الأحبار وكعب كما رأينا في ترجمته لا يوثق في مروياته.

* **حجج القرطبي:**

وأما ميل القرطبي إلى ترجيح القول بأن الذبيح إسحاق، ومحاولته إبطال حجج القائلين بأنه إسماعيل، فقد ناقشناها وفندناها في فصل «المناقشات» ومنها نستخلص النتائج التالية:

٢٦ ـ فقوله: «...ولا يعلم في كتاب ذكر لتبشير إبراهيم بولد ذكر إلا إسحاق» فقد أبطلناه بنص من سفر التكوين ١٥/٢ـ٤ بقول إبراهيم لله: «...ماذا تعطيني وأنا ماض عقيما ومالِكُ بيتي اليعاذر الدمشقي،...، وهو ذا ابن بيتي وارث لي ـ يقصد اليعاذر ـ * فإذا كلام الرب إليه قائل: «لا يرثك هذا، بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك» وفي الإصحاح التالي له

مباشرة ـ الإصحاح السادس عشر تحققت البشارة ودخل إبراهيم بهاجر وولدت له إسماعيل. «فولدت هاجر لإبرام ابن ودعا إبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل وكان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل» (تكوين ١٦/١٥،١٦). فهذه هي التوراة وقد نصت على أن إبراهيم بشر بإسماعيل فبطل قول القرطبي. وفي الإصحاح السابع عشر: «وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك (١٩) فقال الله، بل سارة تلد لك إبنا وتدعوه إسحق..» (تكوين ١٧/١٩).

٢٧ ـ حاول القرطبي أن يبطل حجج القائلين بأن الذبيح إسماعيل فناقش حجتين فقط: الأولى قال: «قالوا: لم يكن الله ليأمر إبراهيم بذبح إسحاق، وقد أتته البشارة من الله قبل ولادته. بولادته وولادة يعقوب».

وعقب القرطبي بقوله: وذلك أن الله إنما أمر إبراهيم بذبح إسحاق بعد أن أدرك إسحاق السعي، وجائز أن يعقوب ولد لإسحاق قبل أن يؤمر أبوه ـ ونحن لا نسلم له بذلك لأمرين:

أولاً: لأن هذا القول لا أصل له في التوراة. ولا في القرآن، ولا في غيرهما. بل إن الأمر كما مر كان بذبح الإبن الوحيد، ولم يكن إسحاق هو الوحيد.

ثانياً: وليس بجائز أن يكون الذَّبْحُ بعد أن وُلِدَ يعقوب ـ لأن الذبح كان للغلام الذي بلغ السعي، في حين أن عمر إسحاق عندما ولد له يعقوب كان ستين سنة كما ذكرنا في المناقشة نقلا عن سفر التكوين (٢٥/٢٦).

٢٨ ـ وأما ادعاء القرطبي بأن قرن الكبش الذي كان معلقا في الكعبة غير مستحيل أن يكون حمل من الشام إلى الكعبة، فنحن لا نسلم ذلك. لأنه لم يرد خبر عن ذلك لا في كتب أهل الكتاب، ولا في القرآن والسنة ولا في التواريخ ثم إن ذلك منقوض بالروايات عن خروج الكبش من ثَبِير، وأن الذبح كان بمنى وغير ذلك. ومنها ما هو أحاديث نبوية وقد مر ذكر بعضها.

٢٩ ـ وقد ردد القرطبي القول بأن إبراهيم حين بشر بإسحاق من الملائكة الذين جاءوا لإهلاك قوم لوط قال: «هو إذن لله ذبيح» وقد بينا أن ذلك لا يتفق مع عقل ولا نقل، فلم يرد له ذكر في الإصحاحين (١٧، ١٨ تكوين) الذي تضمنا البشارة به، وحمله ومولده. ولا يتفق مع ما عهد من إبراهيم في معاملته لسارة. ثم كيف ينذر إبراهيم بذبح اسحق في وقت كانت البشارة فيه بشارة جبرا لضعفها كرامة لها من الله.

وقلنا: إن الذي يتفق مع المنطق وقال به عدد من العلماء: أن الله بعد أن غارت سارة من هاجر وابنها وأمرت إبراهيم بإبعادهما اقتضت حكمته ليعود الود بين سارة وهاجر ويكبر الأخوان إسماعيل وإسحاق على الحب أن يأمر إبراهيم بذبح إسماعيل ليرق قلب سارة له ولأمه، وتذهب عنها حرارة الغيرة وبغضائها ـ والله أعلم، هذا إلى جانب الدواعي الأخرى سالفة الذكر.

هذا وفي طرق هذا الخبر بعض الضعفاء مثل أسباط ـ وهو مجهول، ويخالف الثقات، وكذبه يحيى بن معين (تهذيب التهذيب ١/٢١١) وقد ناقشنا الخبر باستفاضة في المناقشات، ثم إن القصة في هذه الرواية تَنْسب إلى إبراهيم الكذب على زوجه سارة، وعلى ابنه إسحاق، وعلى خادميه ـ وهذا محال في حق أبي الأنبياء الذي وصفه الله في القرآن بأنه ﴿**كان صديقا نبيا**﴾. فكيف يكون صدّيقا وكذابا في وقت واحد؟

٣٠ ـ وأما ما رواه الطبري من حجج القائلين أن الذبيح إسحاق:

أ ـ فمنهم عبد الله بن عبيد بن عمير وأكثر ما روي عنه قصص عن بني إسرائيل، وعبيد ممن رووا عن كعب، وكان مشهروا بأنه «قاصُّ أهل مكة» وذكر المؤرخون ومترجموا الرجال أنه زار السيدة عائشة فلما عرفته قالت مستنكرة: «قاصُّ أهل مكة؟ قال نعم، فقالت له: خفف فإن الذكر ثقيل». (سير أعلام النبلاء ٤/١٥٧/٥٧).

ب ـ ومنهم: محمد بن بشار (بندار) اختُلِفَ في توثيقه: قال عنه أحمد بن

عبد الله العجلي ثقة كثير الحديث، وكان أبو حفص الفلاس يحلف أن بندار يكذب فيما يروى عن يحيى. وقال عبد الله بن علي بن المديني سألت أبي عن حديث رواه بندار عن ابن مهدي ـ قال: هذا كذب، وكان يحيى بن معين لا يعبأ به ويضعفه... الخ. (سير أعلام النبلاء: ٢/١٤٤/ ٥٢، تهذيب التهذيب ٩/٧٣).

جـ ـ وأبو الهذيل: رأس المعتزلة ـ سكير ـ سبق التعريف به.

د ـ وأسباط: مختلف فيه: ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الساجي في الضعفاء.

هـ ـ ومن تنتهي إليهم طرق الرواية في هذا الموضوع ممن رووا عن كعب الأحبار كما هو ثابت من ترجمته ـ من رووا عنه ـ.

٣١ ـ ومن حججهم أنهم بعد أن ذكروا آية سورة الصافات ختموها بآية من سورة مريم فيهما: ﴿**فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب، وكلا جعلنا نبيا**﴾. ويزعمون أن هذه الآية دليل على أن الذبيح إسحاق، هذا غير مسلم، لأن أحداث القصة متكاملة من أول قوله تعالى: ﴿**قال إني ذاهب إلى ربي سيهدين**». إلى نهاية القصة ﴿**وفديناه بذبح عظيم**﴾ ثم التعقيب عليها بتكريم الذبيح ثم تكريم إبراهيم ثم تقديم البشارة له بإسحاق نبيا من الصالحين. فلا ضرورة لضم آية سورة مريم لأنها ستكون تكرارا لا مبرر له لختام آيات سورة الصافات، ثم ان القصة تكاملت أحداثها والبشارة في ختامها فلا صلة بينها وبين آيات سورة مريم. ثم إن سياق آيات سورة مريم مختلف في المحتوى، والجرس الصوتي وختام الآيات.

٣٢ ـ وخبر قصة الذبيح ومحاولة فتنة الشيطان لإسحاق وسارة وإبراهيم، وأن الله أوحى إلى إسحاق أني أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها... الحديث». مروي عن كعب الأحبار هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا ذكر له في

كتب الديانات الثلاث.

٣٣ ـ وخبر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في حديث طويل: «...لما فرج الله عن إسحاق الذبح...» فيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال عنه العلماء: ضعيف، سيء الحفظ.. الخ. (التهذيب ١٧٧/٦). وقد سبق أن عرضنا أقوال العلماء في تضعيفه.

٣٤ ـ وفي مقابل ذلك نجد رواية تدور أحداث القصة فيها مع إسماعيل عن ابن عباس خبر ـ «لما أمر الله إبراهيم بالمناسك عرض له الشيطان فسبقه إبراهيم، ثم ذهب به جبريلُ فعرض له إبليس عند العقبة فرماه بسبع حصيات....، وثَمَّ تَلَّهُ للجبين، وعلى إسماعيل قميص أبيض فقال له: يا أبتاه إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره...الخ. ورواة هذا الخبر كلهم ثقات، ومثل هذا القول ليس من قبيل الاجتهاد بل هو خبر وأخبار الصحابة إن لم تكن من الإسرائيليات فيغلب على الظن أنها عن الرسول صلى الله عليه وسلم. (وقد رجعنا لتراجم رجال هذا الخبر جميعا في التهذيب وغيره). والخبر ليس من الإسرائيليات كما هو واضح فهو عكسها.

٣٥ ـ وقولنا أن الأقوال بأن الذبيح إسحاق ترجع إلى كعب الأحبار على الرغم من أننا أقمنا الدليل عليها من خلال ترجمة كعب ومن أدلة أخرى، فقد سبقني إلى ذلك ابن كثير وغيره، إلا أنهم لم يقيموا الدليل على ذلك ـ (تفسير ابن كثير ١٧/٤). ويراجع ما كتبناه عنه في ترجمتنا له، نقلا عن التواريخ المختلفة، وتحليلنا لأعماله وأقواله.

* **الأدلة القرآنية المساعدة:**

- وهي أدلة وردت في آيات قرآنية تضمنت براهين مساعدة تؤكد أن الذبيح كان إسماعيل عليه السلام. وهي إجمالا:

* دليل ترتيب النبوة، دليل حكمة إسكان إسماعيل عند بيت الله المحرم.

* دليل تتابع أحداث إسكان إسماعيل وتطهير البيت ورفع قواعده وبيان المناسك، وأحداث الذبح * دليل الصفات * دليل الإعانة على أمر الله.

* دليل صلة أحداث الذبح بالأماكن والمناسك.

٣٦ ـ أما دليل ترتيب البنوة والنبوة ـ فالمقصود به الآيات القرآنية التي دلت على سبق وتقدم إسماعيل على أخيه إسحاق في ترتيب أبناء إبراهيم وذريته وكذلك تقدم اسمه على اسم إسحاق ومن بعده يعقوب ومَنْ بعدهم من الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام. وفيه دليل على أن إسماعيل هو الإبن البكر الذي ظل وحيدا مدة من الزمن ـ نصت عليها التوراة بأربع عشر سنة، فهو بموجب ذلك هو الذبيح لا إسحاق.

٣٧ ـ وأما دليل حكمة الإسكان فقد تضمنته آيات كريمات ﴿**ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم. ربنا ليقيموا الصلاة**﴾ (أي ليقيموا الدين ـ فالصلاة عماد الدين). ﴿**ربنا واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا..**﴾ «**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة..**﴾ ففيها بيان أن الذي كان يسكن مكة هو إسماعيل، وأحداث الذبح قد قامت الأدلة على أنها كانت بمكة وحرمها، فالذبيح على ذلك إسماعيل وليس إسحاق.

٣٨ ـ وأما دليل الصفات: ففي الآيات التي تضمنت صفات كل من إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وفيها دلالتين:

أ ـ توافق صفات إبراهيم وصفات إسماعيل مما يجعل إسماعيل عاطفيا أقرب إلى قلب إبراهيم هذا بالإضافة إلى مرشحات أخرى لزيادة حب إبراهيم لإسماعيل عن إسحاق، منها غربة إسماعيل بعيدا عن إبراهيم مما يجعله يشتاق إليه دائما بالإضافة إلى مسارعة إسماعيل في معاونة أبيه والإشتراك معه على تنفيذ أوامر الله لما أوردناه في دليل الإعانة ما ينقض

نصهم «...ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق»[1].

ب ـ أن صفات كل من إبراهيم وإسماعيل تتوافق مع ما يقتضيه سلوك النبي والمؤمن في انقياده لأمر الله من الصبر، وصدق الإيمان، والوفاء بالعهد،.. الخ. فكل من إبراهيم والذبيح وصف بالحلم، وكل منهما وصف بالصبر، وكل منهما وصف بصدق الوعد ـ وهي الصفات التي تتناسب مع الابتلاء الذي ابتلى الله به إبراهيم وابنه. بخلاف صفات إسحاق، فهي «العليم، رسولا نبيا» فلا صلة لها بحادث الذبح. مما يدل على أن الذبيح إسماعيل وليس إسحاق ـ كما مر.

٣٩ ـ ودليل تتابع الأحداث، وهي الآيات التي تضمنت تبوؤ مكان البيت لإبراهيم، ثم إسكان إبراهيم لهاجر وإسماعيل عند البيت، ثم بيان الحكمة من ذلك، ثم أمر الله إبراهيم وحده أولا بتطهير البيت، ثم أمره هو وإسماعيل بذلك، ثم أمرهما برفع القواعد من البيت (بناء البيت) ثم دعائهما ﴿**ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا**﴾ ثم بيان مناسك الحج لهما وأدائهما للحج مع جبريل، واعتراض إبليس طريق إبراهيم في المناسك ورجم إبراهيم له عند العقبات الثلاث، ثم لما بلغا السعي كانت أحداث الذبح ﴿**فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى * قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتله للجبين..**﴾ الآيات.. مما يؤكد العلاقة الوثيقة بين إسماعيل والبيت ومناسك الحج وحادث الذبح الذي كان عقب أداء المناسك بالمسعى ﴿**فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك**﴾ الآية... فالذبيح على ذلك هو إسماعيل وليس إسحاق.

(١) قيل لأعرابي: أي أبنائك أحب إليك؟ قال: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يشفى والغائب حتى يعود: ـ وإسماعيل عليه السلام قد تغرب وهو طفل رضيع، وظل غريبا حتى مات.

٤٠ ـ ودليل الإعانة: وفيه عبارات من التوراة وآيات من القرآن تضمنت أن إسماعيل كان دائما عونا لأبيه على ما كان الله تعالى يأمر به إبراهيم ويطلب إبراهيم فيه عون ابنه بكره ووحيده إسماعيل ومن ذلك الختان وكان عمر إسماعيل ثلاث عشرة سنة، ومع ذلك أطاع أباه وانقاد لأمر الله فاختتن مع أبيه في يوم واحد ولم يكن إسحاق قد ولد، بل لم يكن قد بشر به إبراهيم وسارة، وأعانه في تطهير البيت وإعداده للحجاج والمعتمرين والقائمين والطائفين والعاكفين والركع السجود، وأعانه على رفع قواعده وبنائه، واشترك معه في أداء المناسك ورجم إبليس، وخضع معه لأمر الله في الذبح.. مما يرشح أن الابتلاء فيه ألزم لأنه أقرب لأبيه وأحب إليه، وعونه والساعي معه بخلاف إسحاق، ولم يذكر القرآن ولا الإنجيل ولا التوراة أن إسحاق اشترك أو صحب إبراهيم في أي عمل سوى دعوى أمر الذبح، فلماذا لم يشركه الله ولم يشركه أبوه في أي عمل غير الذبح المزعوم؟

٤١ ـ دليل صلة أحداث الذبح بالأماكن والمناسك: فأحداث الذبح كما ورد في الروايات صحيحة السند قد تضمنت أخبار أدائهما لمناسك الحج مع جبريل وتعرُّض إبليس لإبراهيم عند العقبة الصغرى وأن جبريل أمر إبراهيم بأن يكبر الله ويرجم إبليس بسبع حصيات، وهكذا فعل عند العقبة الوسطى والكبرى، حتى يئس إبليس وذهب عنه، ولما بلغ إسماعيل مع أبيه السعي ـ أي لما أتما مناسك الحج وآخرها السعي حول الكعبة ثم بين الصفا والمروة أخبر إبراهيم ابنه إسماعيل بما كان قد رأى في المنام، وكان إبراهيم قد رأى في المنام وهو في منى أنه يذبح إسماعيل فتروى خشية أن يكون ما رأى حلما من الشيطان فسُمِّي اليوم يوم التروية، وفي الليلة التالية رأى نفس الرؤيا فبدأ يتحقق أنها من الله، وقيل له قد عرفت ـ فسمى المكان الذي أصبح فيه ـ يوم التاسع من ذي الحجة ـ جبل عرفات، ثم لما أفاض وبات

في المزدلفة رأى نفس الرؤيا فعزم على التنفيذ لأنه تحقق أن ذلك أمر من الله له يذبح ابنه وحيده، فأصبح عازما على نحر إسماعيل فسمى هذا اليوم يوم النحر وبعد أن أتم المناسك أخبر إسماعيل بما رأى فعرف إسماعيل أنه أمرٌ من الله لأن رؤيا الأنبياء وحي، فاستجاب لأمر الله وطلب من أبيه أن ينفذ أمر ربه ووعده بالصبر على ما ابتلاه الله وأنه سيكون عونا لأبيه على أمر الله فلما سارا في الطريق إلى أرض النحر تبدى إبليس لإسماعيل وحاول أن يغريه بمعصية أبيه ورفض الخضوع للذبح، فرجمه إسماعيل بسبع حصيات وكان ذلك عند الجمرة الأولى فلحق إبليس بهاجر وحاول أن يغريها بالحيلولة بين إبراهيم وذبح إسماعيل تنفيذا لأمر الله ـ ليعصوا الله ـ فرجمته عند العقبة الثانية فيئس منها ولحق بإبراهيم عند العقبة الثالثة فرجمه كذلك بسبع حصبات، فأصبح الرجم من شعائر الحج ولا زال الرجم من شعائر الحج للآن في الأماكن والأيام التي حدث فيها من إسماعيل وهاجر وإبراهيم، ثم حاول إبراهيم ذبح ابنه إسماعيل فأبطل الله عمل السكين في يد إبراهيم كما أبطل له عمل النار من قبل وسمع نداء الله ﴿...**يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا، إنا كذلك نجزي المحسنين، وفديناه بذبح عظيم**﴾. فخرج ذبح عظيم (كبش عظيم) من جبل هناك يسمى ثبير. فأخذه إبراهيم ونحره فسمي المكان: المنحر. وسمي اليوم: يوم النحر. ولا زال اسم الجبل الذي خرج منه الكبش «ثبير». ولا زال المكان الذي ذبح فيه اسمه: المنحر، ولا زال النحر من شعائر الحج، ولا زال اليوم يسمى يوم النحر.

وعموما لا زالت الأماكن التي حدثت فيها أحداث قصة الذبح في مكة وحرم مكة تسمى بالأسماء التي تناسبت مع الأحداث وكذلك الأيام والأوقات التي حدثت فيها، ونفس الأحداث تتكرر كما حدثت من إبراهيم وإسماعيل، بل والتي حدثت من هاجر حين أسكنها إبراهيم هي وابنها عند البيت المحرم.

فأحداث الذبح وما صاحبها من أحوال ومشاهد، والأماكن التي حدثت فيها وسميت بأسماء مشتقة منها، والأيام التي حدثت فيها وسميت بأحداثها، كل ذلك يدل دلالة واضحة بأن أحداث الذبح حدثت مع إسماعيل في الأماكن والأيام التي لا تزال تحدث فيها وشرعت كلها في مناسك حج المسلمين، تكريما لإبراهيم وهاجر وإسماعيل وتسجيلا لأعمالهم وحسن طاعتهم وصدق احتسابهم لله.

وبعد: وقد أوفينا على الغاية، وأثبتنا بما لا يدع مجالا للشك، ولا يترك فرصة لدجال أو متقول أن الذبيح إسماعيل، وأنه يستحيل أن يكون إسحاق، أرجو أن أكون قد أسهمت في حسم قضية من القضايا التي يتخذها اليهود وسيلة من وسائلهم في الإستعلاء والعنصرية، والتطاول على كرامة البشرية التي كرها الله بها. ﴿**ولقد كرمنا بني آدم**﴾. فحاولوا هم أن يغتصبوا هذا الحق من عامة بني آدم ويقولون: ﴿**ليس علينا في الأميين سبيل**﴾. بدعوى أنهم وحدهم على حسب زعمهم «أَبْنَاءَ اللّهِ وأَحِبَّاؤُهُ» وأن الله خلق باقي البشر مسخرين لهم كما خلق عامة البهائم: ﴿**كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا**» «**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾. فإن كنت قد وفقت فبفضل من الله، وإن كنت قد قصرت فحسبي أني بذلت غاية الجهد مخلصا، وأسأل الله أن يتقبل هذا العمل، ويجعله خالصا لوجهه الكريم..

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين..

مجلة الحقوق

مجلة فصلية أكاديمية محكَّمة تعنى بنشر الأبحاث
والدراسات القانونية والشرعية
تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور مبارك عبدالعزيز النويبت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٧٧

الاشتراكات

في الكويت : ديناران للأفراد ، وعشرون دينارا للمؤسسات
في الدول العربية : ثلاثة دنانير للأفراد ، وعشرون دينارا للمؤسسات
في الدول الأجنبية : ثلاثة دنانير ونصف للأفراد ، وعشرون دينارا للمؤسسات

المراسلات

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان التالي:
مجلة الحقوق - جامعة الكويت
ص.ب : ٥٤٧٦ الصفاة 13055 الكويت
تلفون : ٤٨٤٦٨٤٣ / ٤٢٢٢ - فاكس : ٤٨٣٥٧٨٩

حوليات كلية الآداب

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيسة هيئة التحرير
د. فتوح عبد المحسن الخترش

دورية علمية محكمة تتضمن مجموعة من الرسائل وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في مجالات اهتمام الأقسام العلمية لكلية الآداب

- تقبل الابحاث باللغتين العربية والانجليزية شرط أن لا يقل حجم البحث عن (٤٠) صفحة مطبوعة من ثلاث نسخ .
- لا يقتصر النشر في الحوليات على اعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب فقط بل لغيرهم من المعاهد والجامعات الاخرى .
- يرفق بكل بحث ملخصا له باللغة العربية وآخر بالانجليزية لا يتجاوز ٢٠٠ كلمة .
- يمنح المؤلف (٣٠) نسخة مجانا .

الإشتراكات :

داخل الكويت	خارج الكويت
للأفراد : ٣,٢٠٠ د.ك - للأساتذة والطلاب : ١,٦٠٠ د.ك	٣٢ دولاراً أمريكيا - ١٦ دولاراً امريكيا
للمؤسسات : ١٦ د.ك	٦٤ دولاراً أمريكيا .

ثمن الرسالة : للأفراد : ٤٠٠ فلس — للأساتذة والطلاب : ٢٠٠ فلس
ثمن المجلد السنوي : للأفراد : ٤,٨٠٠ د.ك — للاساتذة والطلاب : ٢,٤٠٠ د.ك

تتوجه المراسلات الى : رئيس هيئة تحرير حوليات كلية الآداب
ص.ب ١٧٢٧٠ - الخالدية
الكويت - 72454